بسم الله الرحمن الرحيم ؞ وصلى الله على سيدنا محمد واله
يا من يؤيد بنصره من يشاء، وله العز والجبروت والكبرياء احمدك
على ما اوليت من الالاء بلى واسلم على سيدنا محمد خاتم الانبياء، وعلى اله
واصحابه الاتقياء الاصفياء اما بعد فيقول العبد المستمد من الفيض
الوهابي محمد بن محمود الجزائري ابن العنابي انه لما حدث في هذه
الاعصار الاخرة، تطاول طغاة الامم الكافرة، ترتيب اجنادهم على
طريقة محكمة ابتدعوها، وتدريبهم على فنون حيل اخترعوها، قصدا
لمكيدة الاسلام واهله، وسعيا في استباحة حماه وتفريق شمله، خيب
الله امالهم، واكذب ظنونهم وابطل اعمالهم، عظم الخطب في تفريق
نظامهم، وتغافل الحماة دون نيل مرامهم، اذ دعت ضرورة الحال الى

استغلام ذلك من قبلهم، والتدرب على ما اقواه من صنايعهم وحيلهم،
فرتبت العساكر الاسلامية على نحو من ذلك نظاما جديدا، وصدر به من
جانب السلطنة العلية ادام الله تاييدها امرا اكد تاكيدا، فضيقت
ملابس الجند واختصرت، وفننت الوانها وقصرت، فاستنكر ذلك
اناس، وطرق اسماعهم من بعض متصلفة وسواس، وقد جرى بيني
وبين بعض افاضل الاخوان، في مجمع انس جاد به الزمان، كلام علق منه
بباله، فوجه الي خطابه بكتابة جواب على منواله، فلزمني اذ اسعفه
بمرامه، وازيده بسطا يناسب المقام فاقول في جوابه متلذذا له
بتجديد خطابه اعلم ايدك الله انه قد عرف ان ترتيب نظام الجند على الوجه
الذي ابتدعه الكفرة يحصره امران احدهما امور حربية والثاني امور له
سياسية فترتب الجواب على مقصدين وتذييله بخاتمة مستعينا بحوله
تعالى وقوته

المقصد الاول في الامور الحربية

ونعني بها كل ما انتج قوة محسوسة او معقولة على دفاع الاعداء وارهابهم
واغاظة نفوسهم واتعابهم فكل هذه المعاني امور شرعية لان فيها اذلال
الكفر وعزة الاسلام وعلو كلمته وانه المقصود الاعظم من شرعية الجهاد

باشارة قوله تعالي وجعل كلمة الذين كفروا السفلي وكلمة الله هي العليا وقوله
صلي الله عليه وسلم فيما روي البخاري ومسلم عن ابي موسي الاشعري رضي الله
عنه من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله فكل ما يفيد منفعة
لها تعلق باعزاز الدين ورفعة شانه مما اشتمل عليه النظام المستجد للكفرة
من ترتيب العساكر وتصنيفهم وحصر اعدادهم وتقديد قوادهم وعرفائهم
وتنويع اصنافهم وكبرائهم بخصوص لباس او علامة وتضييق ملابسهم
وتقصيرها وتعيين مواقفهم وعملهم وتخصيص كل فريق براية او لواء
ثم تدريبهم علي عمل الحرب بتعليمهم كيفية الرمي والطعن والضرب وغير
ذلك مما يقتضيه امر الحرب من تصفيف واغارة واجتماع وافتراق
واقدام واحجام وكر وفر وركوب ونزول وظهور وكمون وتحريض وتثبيت
ورفع صوت وخفضه ورد منهزم وحراسة وغير ذلك مما تدعو اليه
الحاجة فهو امر مشروع بالنظر لاصله لما ذكرنا ولاندراجه في عموم قوله
تعالي واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وءاخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم علي ما نبينه واعلم
ان هذه الاية الكريمة من ابدع جوامع كلم القران واظهرها اعجاز الفظا ؛؛

ومعني

ومعني لانتظامها جميع الادوات والاسباب الحسية والمعنوية المورثة قوة
ظاهرة او باطنة تنتج ارهاب الاعداء وانطباقها علي جميع ما حدث قبل نزولها
او استحدث بعده كالادوات والاعمال البارودية المتاخرة عنه بنحو من ثمان
ماية سنة الباهرة القوة حتي كانها المقصودة بالذات وغير ذلك من المعاني
الفاضلة باوجز عبارة واوضح بيان فاعجازها مما يشترك في معرفته الخاص
والعام فسبحان اللطيف الخبير وقوله واعدوا من الاعداد وهو تهيئة الشيء
لوقت الحاجة وضمير لهم للكفار علي الاطلاق لانه الانسب بسياق النظم الكريم
اذ افاد ان المقصود من توجيه الامر ارهاب المجاهرين بالعداوة وغيرهم وبه
جزم ابو حفص النسفي والمولي ابو السعود وقيل لمن نقض العهد وهو الذي
قدمه المولي القاري قلت وعليه فعموم الحكم من سواهم من الكفار والاعداء
مفاد من دلالة السياق وكلمة ما من قوله ما استطعتم من ادوات العموم ؛؛
فيشمل الامر كل ما يتقوي به في الحرب كائنا ما كان كما جزم به المولي ابو السعود
وعليه ارباب المعاني كما في كشف الحقائق وقيده بالاستطاعة فافاد اختلاف
الحكم بحسب المقدرة فعلي ائمة الاسلام وامرائه ما يليق بمرتبتهم من تنظيم
الاجناد وانتخاب الرجال واستجلاب قلوبهم ببذل المستحق واظهار العدل

والمبرة والاحسان وتهيئة الادوات والذخاير وتسديد الراي في ذلك
واعمال المشورة والاستعانة بذوي الصلاح والراي والاخذ بالحزم وترك
الركون الي السكون والدعة والتهاون بالاعدا وان ضعفت شوكتهم قال
الامام ابو بكر الطرطوشي في سراج الملوك من حزم الملك ان لا يحتقر عدوه وان
كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم من برغوث اسهر فيلا ومنع
الرقاد ملكا جليلا وقال الشاعر

فلا تحقرن عدوا رماك ، وان كان في ساعديه قصر
فان السيوف تحز الرقاب ، وتعجز عما تنال الابر

انتهي وعلي المنتخبين لاقامة هذا المهم الشريف من رئيسين ومرؤوس
بذل ما يلزمهم من امتثال امر السلطان والمسارعة الي اجابته لذلك لانه من
اهم فروض الكفايات وانها تتعين اذا عينها الامام لوجوب طاعته في المباح
للنصوص التي جاءت بوجوب طاعته ما لم يامر بمعصية فضلا عما هو فرض كفاية
وعليهم مع ذلك ان يطيبوا انفسهم لامتثال امره ويعرفوا له حق رتبته فانه
في نهوضه لهذا الامر قايم بامر الله نايب عنه سبحانه في تنفيذ امره ونصرة
دينه واعلاء كلمته فامره تبليغ لامر الله وطاعته طاعة الله ورسوله

فلا

فلا يلاحظ في مثل هذا الامر الا بالتعظيم ولا يقابل الا بالثنا والتكريم وهذه هي
سبيل امره في كل ما فيه صلاح او طاعة لما ذكرنا من المعني وقد روي مسلم
في صحيحه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال
من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصني فقد عصي الله ومن يطع الامير فقد
اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني وروي ايضا عن ام الحصين رضي الله عنها
انها سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ان امر عليكم عبد مجدع يقودكم
بكتاب الله فاسمعوا له واطيعوا وروي ايضا عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي
صلي الله عليه وسلم انه قال علي المرء المسلم السمع والطاعة فيما احب وكره الا ان
يومر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة والمراد من الطاعة المطلوبة
شرعا الانقياد ظاهرا وباطنا بالامتثال ومدافعة الكراهة الطبيعية حتي لا تجره
الي غيبة او تنقص من عظم الله حرمته وجعل طاعته طاعته فيقع في كبيرة هي
الغيبة ونفاق القلب ويخرج عن الطاعة المطلوبة منه بالكلية فيدخل في عموم
ما روي احمد والنسائي ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم
انه قال من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية وما روي
ابن ابي شيبة واحمد عن عامر بن ربيعة عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من

مات وليس عليه طاعة مات ميتة جاهلية وان خلعها من بعد عقده اياها
في عنقه لقي الله تعالى ليست له حجة وفي القاعدين الترغيب في ذلك والحث
عليه لان فيه فضيلة الدلالة على الخير وقد روى احمد والضيا في المختارة عن
انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدال على الخير كفاعله
والاعتراف للمعينين بما لهم عليهم من جميل اسقاطهم الفرض الاشق عنهم وعن
الكافة ومقابلتهم بالاحسان المستحق لهم لقوله تعالى هل جزاء الاحسان الا
الاحسان وكف الالسن عن ذكر ولاة الامر والكبراء الا بالثناء فان هذه الامور
بواعث اجتماع الكلمة ولا تمام لغرض القوة المطلوبة الا به فيندرج في ضمن
الخطاب الكريم وقوله من قوة حال من ما متممة لبيانها ومن لبيان الجنس
او التبعيض والقوة خلاف الضعف اي كون الشيء بحيث يضعف غيره عن مقاومته
وهو معنى اعتباري لا تحقق له في الخارج فلا يتعلق التكليف به وانما المراد منها
الاسباب المحصلة للمخاطبين الاتصاف بها تسمية للسبب باسم المسبب لنكتة
الاشارة الى كمال الارتباط بينهما في هذا المقام والى ان المفرط في استعداد الاسباب
والمقصر فيها معرض نفسه لغلبة الاعدا تهييجا للمسارعة اليه والمعنى
واعدوا ايها المومنون للكافرين كل ما استطعتموه من الاشيا حال كون ذلك

المستطاع

المستطاع الشيء الذي هو سبب قوة او بعض قوة فانتظم في كلمة من قوة جميع
الاسباب المحصلة للاتصاف بها ظاهرة كانت ونعني بها كل ما له اثر يدرك
بحس او عقل او باطنة ونعني بها ما سبيل معرفته الاخبار الالهي والتعريف
النبوي ومن الاول جميع ما اسلفنا ذكره من الامور النظامية وغيرها والمراكب
البرية والبحرية والحصون والخنادق والاسلحة وادوات الرمي والخيل وذخائر
المال والاكل والشرب وغير ذلك مما تدعو حاجة الارهاب اليه واما الثاني
فاقامة الشرع بامتثال امره والوقوف عند حده وبالخصوص اقامة حدوده
وانتخاب ولاة احكامه وانصاف الظالم من المظلوم والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر والشفقة على الضعفا وجبر قلوبهم بالمبرة والاحسان قولا وفعلا
والانفاق من مال الله المحصل من وجوهه الشرعية او مال يحصل من كسب طيب
والالتجا الى الله بالتوكل عليه والتبري من الحول والقوة والتوبة والاستغفار
من الذنب وملازمة التقوى والطاعة قال الاستاذ القشيري وانما قوة
القلب بالله والناس فيها مختلفون فواحد يقوي قلبه بموعود نصره وءاخر
يقوي قلبه بتحققه بانه بمشهد من ربه قال الله تعالى فاصبر لحكم ربك
فانك باعيننا وءاخر يقوي قلبه بايثار رضا الله على مراد نفسه وءاخر

يقوي قلب برؤيته بالخيل مرادا قال ويقال ان في جنة العبد تقرير به
من حوله وقوته انتهي وجا في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر واعدوا لهم ما
استطعتم من قوة الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي
قال الامام ابو حفص النسفي في تفسيره وهو ابلغ في غيره لكنه من جليل ما يعد
لذلك انتهي اي فالمراد منه بيان جلالته والتحريض عليه لانه مضنة
التعريف والتقصير ما فيه من زيادة المؤونة وتوقف المقصود منه على تقديم
التدرب عليه وتحصيل ملكته قلت وكذا يحكي الماوردي في تفسيره عن
الكلبي انها السلاح وعن بعض انها التصافي واتفاق الكلمة وعن آخر انها
الثقة بالله ونسبه المولى القاري الى علي الروذباري جار على هذا المجري
او تقصد منه التمثيل والتنبيه على اندراج المذكور في عموم الاية لا حصر معناها
في خصوصه وقوله ومن رباط الخيل اي حبسها واقتنائها للغزو كما يشهد له
ما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه
وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة فان صيغة احتبس للاتخاذ ومعناه

اخذ الشيء لنفسه واقتناؤه والجمهور ان المراد بالخيل ما يعم ذكورها واناثها فهو
تخصيص بعد تعميم اهتماما بشانها لتضمنها الحث على اقتنائها واعدادها لهذا
المهم العظيم وعن عكرمة انه الاناث خاصة قلت وعليه فالمراد تكثيرها
حبسها للتناسل وقوله ترهبون اي تخوفون والضمير للاعداد او لما استطعتم
والجملة قيل في محل نصب حال من فاعل اعدوا اي حال كونكم مرهبين به او من
ما او من عايدها المحذوف اي اعدوا ما استطعتموه حال كونه مرهبا به وعلى
هذا ابو البقاء ومن تبعه كالمولى ابي السعود قلت وفيه ان الحال قيد في عاملها
وتقييد وجوب الاعداد بحال قصد الارهاب وترتبه على الاعداد غير لائق بحكم
الشرع فان وجوبه في حال القصور عن الارهاب اكد منه عند ظن حصوله
ولا يستحسن عقلا لانه من قضيته بلاء الحذر في دفاع الاعدا وتقييده
المستطاع بما كان مرهبا به يخل بكمال الاستعداد اللائق بترقب الحرب حتى
حكي الامام الطرطوشي في سراجه عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه كان
اذا اراد العدو لا يقص اظفاره ويتركها عدة ويراها قوة انتهي فاللائق انه
استئناف مبين لعلة الامر كما اشار اليه في كشف الحقائق فان قلت
اذا كان الامر معلولا بالارهاب يدور مع العلة فينتفي بانتفائها ويأتي

المعني الاول قلت لا نسلمه لانه انما يلزم ذلك انه لو كان علة الحكم نفس الوجوب الثابت بالامر اما اذا كان علة توجه الخطاب بالامر بمعني انه وجه الحكمة في مشروعيته فقد عرف من اصل الشرع انه لايد ور معها كما في الرمل في الطواف علي ما بين في كتب الفقه والاصول وقوله عدو الله وعدوكم اي جنس الكفار الذين هم اعداء الله واعداوكم وقيل اهل مكة وقيل اعداء الله بالكفر واعداوكم بالمباينة كقطاع الطريق والبغاة وقوله واخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم اي وترهبون اعداء اخرين سوي هولاء لا علم لكم بانهم اعداء وانما يعلم ذلك الله سبحانه والاظهر ان المراد بهم كل من يبطن عداوة اهل الاسلام من المنافقين واهل الذمة والعهد وانهم اذا راوا كمال تيقظ المومنين واستعدادهم دخلتهم الرهبة والياس من تربص الدوائر فلم يباطنوا اهل الحرب بمكيدة المسلمين ولا يقعد ونهم بها واستئناف جملة الله يعلمهم للاشارة الي انهم قد بلغوا في مباطنة العداوة واخفائها الحد الذي لا يقف عليه الا الله تعالي مبالغة في التحذير وتحريضا علي الاخذ بالحزم والتحرز من التفريط والغفلة وعدم الاغترار بما يظهر من الامن وتودد الاعداء لا سيما الكفرة فانه قد قيل شعر كل العداوة قد ترجي مودتها ٭ الا عداوة من عاداك في الدين ٭

ولا تبذل لاهل الذمة فانهم كما قيل ٭
٭ ذلها اظهر التذلل منها ٭ وفي القلوب منها كحز المواسي ٭
ولا باقبال الايام ومساعدة الوقت فانه كما قيل ٭
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ٭ ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
٭ وساعدتك الليالي فاغتررت بها ٭ وعند صفو الليالي يحدث الكدر
ولا باعتقاد خلو الاعداء فان الامر كما قال بعض العارفين كل موجود لا بد له من عدو وصديق بل هذه حالة سارية في الحق والخلق قال الله تعالي لا تتخذوا عدوي وعدوكم فهم عبيده وهم اعداوه فكيف حال العبيد بعضهم مع بعض اشير بما من قوله وما تنفقوا شرطية والجملة في محل نصب حال من الضمير المستكن في ترهبون اي والحال مع ما ذكر من المقاصد الدينية والدنيوية انكم ما تنفقوا من شيئ اي مما قل وجل في سبيل الله في اسباب القوة التي هي سبيل اي طريق لطاعته او في طاعة الله تعالي علي الاطلاق يوف اليكم اي يوفر لكم اجره في الاخرة وتعطونه كاملا موفرا وانتم لا تظلمون اي لا يظلمكم احد بحرمانه الاجر او بنقص شيئ منه لان ايفاءه علي رب كريم منزه عن الظلم لا شريك له في ملكه فان قلت الظلم غير متصور منه تعالي

البلاد من صح

اذ الاعمال غير موجبة للثواب وانما هو محض فضل منه تعالى فما معنى تنزيهه
نفسه عنه قلت هو مستثنا ولخلف الوعد لان الموعود واجب بالنظر الى الوعد
لاستحالة الخلف في حقه تعالى فحصلت المشابهة بينهما في الوجوب وان
اختلف سببه فان قلت استحالة خلف وعده تعالى من ضروريات الدين
فما فائدة التذييل بذكره في هذا المقام بخصوصه قلت هي تاكيد الوعد
المشير الى انه معاملته تعالى في هذا الموطن على خلافها في غيره ففيه ايماء
الى تكفله للمنفق بمغفرة الذنوب وضمانه له حسن الختام وقد اشار النبي
صلى الله عليه وسلم الى هذا المعنى فيما روى الامام احمد عن عبد الرحمن ابن
سمرة رضي الله عنه قال جاء عثمان الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار
في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
يقلبها في حجره ويقول ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم مرتين فان فيه دلالة
ظاهرة ان بذل الوسع في الانفاق عدة في سبيل الله من الاسباب الموجبة
لحسن الخاتمة ومغفرة الذنب اذ الاصل في الاحكام الشرعية ان تعم ولا تخص
بقي من المباحث الشريفة المتعلقة بهذه الاية الكريمة ان القاعدة المقررة
لائمة النحو وجمهور الفقهاء وعليها اعتنا الثلاثة كما بين في شروح الجامع الخلاطي

ان

ان مقابلة الجمع بالجمع تقتضي انقسام الاحاد على الاحاد وقد قوبل في الخطاب
الشريف بين ضميري جمع ضمير اعدوا العائد الى المومنين وضمير لهم العائد
على الكفار فيفيد ذلك بمقتضى تعليل شرعية الحكم بالارهاب ان الواجب على
كل فرد من افراد المخاطبين ان يهيئ من اسباب قوته وبواعثها اقصى ما يمكنه
مما يحصل به ارهاب قرنه ومثيله فيقدر لقائه او علمه باستعداده له وان لا
يسقط الواجب عنه عند الامكان الا بكمال الاستعداد اللائق بحاله ومرتبته
الا ان يحصل الارهاب باستعداد من تقوم بهم الكفاية فان الارهاب من مقاصد
الجهاد فيسقط فرضيته عن الباقين اذا قام به من تحصل بهم الكفاية وان
امر ذلك يختلف بحسب استعداد العدو قوة وضعفا وبحسب ما يرهبهم
منه الان الحرب وادواته وانهم اذا استعدوا معنا ادوات الحرب وصنائعه امرا
له موقع لا نومن استطالتهم به علينا لزمنا بذل الوسع في تعلمه واعداده لهم
والاجتهاد في مجاوزتهم فيه وانه اذا لم يمكن استعلام ذلك الا من قبلهم وجب
استعلامه منهم لانه مستطاع لنا وانهم اذا اعدوا النار وصوا عقب البارود
فاعددنا لهم القسي والمنجنيق الذين صارا اليوم كالشريعة المنسوخة او
اقتصرنا على السيوف والبندقيات او شهروا لنا الثياب فاعددنا للقايم الثياب

بايات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع والذي روى البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اغبرت قدما عبد
في سبيل الله فتمسه النار وقوله الى اخر قطرة من دمه تنصيص على استصحاب
حكم الحرمان عليه قاتل ام لم يقاتل مؤذنة بحرمانه من الثواب الموعود للشهداء
كالمغفرة المرتبة على اول دفعة من دمه فانه قد روى احمد والترمذي
وابن ماجة عن المقدام بن معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
للشهيد عند الله سبع خصال يغفر له في اول دفعة من دمه ويرى مقعده
من الجنة ويحلى حلة الايمان ويزوج اثنين وسبعين زوجة من الحور العين
ويجار من عذاب القبر ويومن من الفزع الاكبر ويوضع على راسه تاج الوقار
الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويشفع في سبعين انسانا من اهل بيته
وروى الطبراني عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان اول
قطرة تنزل من دم الشهيد تكفر بها ذنوبه والثانية يكسى من حلل الايمان
والثالثة يزوج من حور العين فان هذا الفضل مخصوص بمن كان باعث غزوه
وجهاده امرا شرعيا لتقييد الاوامر التي جاءت به بكونه في سبيل الله اي سبيل
شرعية من واجب او غيره حتى المباح لان سبيل الله شامل لجميع احكامه

التي

التي من جملتها الاباحة والجهاد ما شرع لمجرد التكسب بل قصد لاعلاء كلمة الله
فانه قد روى البخاري ومسلم عن ابي موسى رضي الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل
ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في
سبيل الله ورواه ابو داود بلفظ ان الرجل يقاتل للذكر ويقاتل ليحمد
ويقاتل ليغنم ويقاتل ليرى مكانه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قاتل
حتى تكون كلمة الله هي اعلا فهو في سبيل الله وروى ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رجلا قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا
من عرض الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اجر له ثلاث مرات وروى
ايضا عن عبد الله بن عمرو انه قال يا رسول الله اخبرني عن الجهاد والغزو
فقال يا عبد الله بن عمرو ان قاتلت صابرا محتسبا بعثك الله صابرا محتسبا
وان قاتلت مرائيا مكاثرا بعثك الله مرائيا مكاثرا يا عبد الله بن عمرو على
اي حال قاتلت او قتلت بعثك الله على تلك الحال فسر في الاول سبيل الله
بان يكون قتاله لاعلاء كلمة الله فانتفى غيره ان يكون مرادا وبهذا الاخير
قد دلت حال تحليه وتصفحه الوجوه لتحصيل الاجرة ان قصده كان مجردا

بأنه ما شرع له القتال والغزو بهذه النية فاستوجب المراتب
فإن قلت فقد قتل مظلوما فينبغي أن ينال فضل شهادة المقتول ظلما
قلت قد يومئ إلى ذلك لكن ظاهر قوله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي
هريرة لا أجر له ظاهر في عموم حرمانه لأن النكرة في سياق النفي تعم والوجه
يساعده فإنه عرض نفسه لهم بلا نية تسوغ له ذلك فكان ملقيا بنفسه
إلى التهلكة لمجرد الدنيا وهذا إذا لم تتجدد له نية الإعلاء لكلمة الله وإلا
نال فضل الشهادة لأن الأعمال بالخواتيم فإن قلت فمن كان باعثه مجموع
قصد إعلاء كلمة الله والغرض الدنيوي هل ينال فضل الشهادة قلت
من السلف من أطلق نفي اعتبار النية المشوبة وراها منافية للإخلاص
المطلوب وإليه يشير كلام الزندويستي من مشايخنا إذ قال في روضته والشهيد
هو الذي يخرج إلى المقاتلة مع الكفار ولا يخرج إلا لله تعالى ومنهم من اعتبر
الباعث الأقوى والغى الأضعف وهو اختيار الإمام الغزالي في الإحياء وإليه
ذهب صاحب الهداية من مشايخنا إذ ذكر في تجنيسه أن القروي إذا سعى
يوم الجمعة إلى المصر يريد إقامة الجمعة وقضاء حوائج له في المصر ومعظم
مقصوده إقامة الجمعة ينال ثواب السعي إلى الجمعة وإن كان معظم مقصوده

إقامة

إقامة الحوائج لا ينال ثواب السعي إلى الجمعة قلت والذي تفيده الأخبار
أن ما عدا الرياء من مرغوبات النفس لا يؤثر بطلان نية قربة قارنته
قوي أثرها أم لا وسواء استقلت باعثا أم لا وسواء كان المرغوب طاعة أو
معصية فإنه قد روى البخاري ومسلم عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قلت
يا رسول الله هل لي أجر في بني أبي سلمة أنفق عليهم ولست بتاركتهم
هكذا وهكذا إنما هم بني فقال نعم لك فيهم أجر ما أنفقت عليهم وروى أحمد
عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلين اختصما إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسأل
النبي صلى الله عليه وسلم المدعي البينة فلم تكن له بينة فاستحلف المطلوب
فحلف بالله الذي لا إله إلا هو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك قد فعلت
ولكن غفر لك بإخلاصك قول لا إله إلا الله أي غفر لك ثم حلف كاذبا فإن
فيهما دلالة لاعتبار نية قربة مقارنة لمرغوب النفس مع ضعف أثرها
وفي الثاني دلالة على اعتبارها وإن لم تستقل باعثا وكان مقارنها معصية
فإن قوله ما انبعث عن قصد الإخلاص بل عن معصية قصد اقتطاع حق
ثابت لغيره كما هو ظاهر وهذا الذي يقتضيه قوله تعالى ونضع الموازين
القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا

بل احياء بما حاسبين وقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره والى يشير
كلام الامام ابي حنيفة رضي الله عنه في كتاب العالم والمتعلم الذي رواه عنه
ابو مطيع البلخي اذ اطلق فيه ان الحسنات لا يهدمها ذنب استدلالا بما
تلونا ثم استثنى ما اخرجته النصوص فقال اما الحسنات فانه لا يهدمها ذنب
شيء غير ثلاث خصال اما الواحدة فالشرك بالله تعالى لان الله تعالى قال
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله والاخرى ان يعمل الانسان فيعتق نسمة او
يصل رحما او يتصدق بمال يريد بهذا كله وجه الله ثم اذا غضب او قال في
غير الغضب امتنانا على صاحبه الذي كان يعرف منه بيدي ثم اعتقت رقبتك
ودعوت لك ووصلتك ثم اصلتك وفي اشباه هذا يضرب به على راسه ولذلك
قال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى والثالثة ما كان من عمل يرائي به الناس
لا يتقبله الله منه فما كان سوى هذه الثلاث فانه لا يهدم الحسنات انتهى
فان كلامه رضي الله عنه ظاهر في شمول المعصية المقارنة وغيرها وما قيل
وحمل من عمل بهذا الحق اطلاق اعتبار نية القربة المقرونة بقصد المرغوب
وترتب الاثابة عليها وان ضعف اثرها كما بينا وان تفاوت الثواب بحسب
النيات على ما نقول في مقاتل المغنم بخصوصه انه متى قيد قصده بحكم

الشرع

الشرع بان قصد اليه رغبة في اباحته بحيث لولاها لما تقدم على القتال
ونوى ان يعمل فيما يحصله منه بمقتضى الشرع كان ذلك منه نية مصححة
لجهاده محصلة لفضل الشهادة لانه قد قصد الى قهرهم والاستيلاء على ما
بايديهم باذن الهي واعلاء كلمة الله الاذن له ثم حديث مشروح معرض للزوم
الاجارة على الغزو وانها غير مشروعة اما ان تجرد القصد لها فلما ذكرنا من عدم
مشروعية القتال بهذه النية فكانت في معنى الاجارة على المعاصي واما
ان قصد معها الى اعلاء كلمة الله فلان القتال بهذه النية قربة وانه عمل غير
معلوم لا ينضبط عادة فلا تجوز الاجارة عليه لا على مذهب المتقدمين من
مشايخنا المانعين جواز الاجارة على الطاعات ولا على مذهب المتاخرين
المجوزين لذلك لمكان الجهالة وليس من قبيل الجعل وهو ان يدفع للغازي
ما لا يستغني به من غير استنابة حتى لو قال خذ هذا المال لتغزو به عني
فهو استيجار كما في الذخيرة قال في المبسوط واذا اراد قوم من المسلمين
ان يغزوا اهل الحرب ولم تكن لهم قوة ولا مال فلا باس بان يجهز بعضهم بعضا
ويجعل القاعد للشاخص وان كانت عندهم قوة او عند الامام كرهت ذلك
شيء والاصل فيه قوله تعالى وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم

وقوله ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقوله
تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقد روى ابو داود عن عبد الله بن عمرو
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للغازي اجره وللجاعل اجره واجر الغازي
وروى البخاري ومسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا
وروى ابن ماجة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من جهز غازيا
حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع وهذه الاخبار وان جاءت
مطلقة لكن الظاهر انها اخرجت مخرج الترغيب في الاعانة لمكان الحاجة
المعروفة في زمنه صلى الله عليه وسلم فلذا قلنا باختصاص جوازه بحال الضرورة
ونقل ذلك في الذخيرة فقال ثم من كان قادرا على الجهاد بنفسه وماله فعليه
ان يجاهد بنفسه وماله قال الله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده وحق
الجهاد ان يجاهد بنفسه وماله ولا ينبغي له في هذه الحالة ان ياخذ من غيره
جعلا ومن عجز عن الخروج وله مال ينبغي ان يبعث غيره عن نفسه بماله ومن
قدر بنفسه ولا مال له فان كان في بيت المال مال يعطيه الامام كفايته من
بيت المال فان اعطاه كفايته لا ينبغي له ان ياخذ الجعل من غيره والا فله ان

ياخذ

ياخذ الجعل من غيره انتهى وقال الامام شمس الائمة السرخسي في شرح
المبسوط اذا كان في بيت المال مال معد لمثل هذه الحاجة فعليه ان يصرفه
اليها ولا يحل له ان ياخذ من المسلمين شيئا لاستغنائه عن ذلك بما في يده انتهى
وان دفع الرجل الى غيره جعلا ليغزو به هل له ان يصرفه في غير الغزو قال
شمس الائمة السرخسي في مبسوطه هو على وجهين ان قال هذا المال لك
فاغز به او تغزو به فله ان يصرفه الى ما يشاء لانه ملكه المال ثم اشار عليه بان
يصرفه الى الجهاد فان شاء قبل مشورته وان شاء لم يقبل وان قال اغز بهذا المال
فليس له ان يصرفه الى متاع بيته ولكن يشتري به الكراع والسلاح وينفق على
نفسه في طريق الجهاد انتهى ونقل في الذخيرة عن شرح السير الكبير ان للمدفوع
اليه ان يترك بعض الجعل لنفقة عياله على كل حال لانه لا يتهيأ له الخروج الا
بهذا فكان من اعمال الجهاد معنى انتهى قلت وهو الاوجه عندي لما روينا من
قوله صلى الله عليه وسلم ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا اذ افادت
الانفاق على عيال الغازي جهاد معنى

الفصل الثاني في ترتيب الجند

وينبغي ان تنزيل كل منهم في خصوص مرتبة تليق به بحسب ما له من خصال

الحرب ومعارفه [illegible] فيه لقوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات ان المراد بالعلم جنسه الشامل لكل علم شرعي وكل علم له
ثمرة تتعلق باقامة امر شرعي فمن العلوم الشرعية والعلم بكيفية الحرب وعمله
وتدبير اموره وتصريف حيله بهذه المثابة اذ لا يكاد يتم اقامة الجهاد المفروض
الا به فالعالم به مندرج في عموم علماء الشرع ضارب معهم بسهم فيما استحقوه
من الفضيلة ورعاية حق رتبته فيما اختص به عن من شاركه فيما له من
المعرفة لما تلوناه وقد روى الخطيب في كتاب المتفق والمفترق عن عائشة رضي
الله عنها انها قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم ورعاية
حق الرتبة اصل عام من اصول الشرع يجب اعتباره في كل موطن فان انضم
الى ذلك مشاركته في معرفة الامور الدينية مع وفور ديانة وصلاح وحسن
خلق وشفقة وانصاف وشجاعة وقوة كان زيادة في علو رتبته وعلى قدر
ما له من الخصوصيات والفضائل يكون الاختصاص بالتقديم لا سيما في باب الولايات
فانه قد روى احمد والحاكم عن ابي بكر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من ولي من امر المسلمين شيئا فامر عليهم احدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه
صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم من استعمل رجلا من عصابة وفيهم من هو ارضى منه
فقد خان الله ورسوله والمومنين وروى ابو يعلى عن حذيفة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما رجل استعمل رجلا على عشرة انفس علم ان في العشرة
افضل ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين فلا يولى
امارة الجند الا اعلمهم بالحرب وتدبيره واجمعهم لخصال الكمال ان وجد والا فلا يعدل
عن اعلمهم بالحرب واسدهم رايا واثبتهم قلبا بشهادة تجربته وامتحانه لا بمجرد حسن
الظن فانه لا دخل له في باب الحرب لابتنائه على الاخذ بالحزم لقوله تعالى خذوا
حذركم وقد روى ابو الشيخ في كتاب الثواب عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال الحزم سوء الظن ويشهد لما ذكرناه من تقديم الاعلم بالحرب تقديمه
صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص على جيش كان فيهم ابو بكر وعمر فانه قد روى البيهقي
عن ابي عثمان النهدي قال سمعت عمرو بن العاص يقول بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جيش ذي السلاسل وفي القوم ابو بكر وعمر فحدثت نفسي انه لم يبعثني
على ابي بكر وعمر الا لمنزلتي عنده قال فاتيته حتى قعدت بين يديه فقلت يا رسول
الله من احب اليك قال عائشة قلت اني لست اسالك عن اهلك قال فابوها
قلت ثم من قال عمر قلت ثم من حتى عدد رهطا قال قلت في نفسي لا اعود اسال

عن هذا انتهى واما تقدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر وعمر لفضل
معرفته بالحرب فقد ذكر في السيرة الحلبية وغيرها انه منع الناس من ايقاد
النار في ليلة باردة فكلمه بعض سراة المهاجرين في ذلك فقال خل عمرو في القول
فقال له قد امرت ان تسمع لي وتطيع قال نعم قال فافعل ولما بلغ ذلك عمر
ابن الخطاب غضب وهم ان ياتيه فمنعه ابو بكر رضي الله عنهما وقال ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يستعمله الا لمعرفته بالحرب فسكت انتهى فدل ذلك
ان فضل العلم بالحرب هو المعتبر في بابه فهذا اخذ تحقق الاهلية لسياسة
الجنود والمشار كذا في الفضائل فمن تقاعدت مرتبته لقادح ديني او غيره
كالتهور فيستغنى برايه ولا يولى فقد ذكر ابو عمر ابن عبد البر في كتاب
الاستيعاب عن عبد الملك بن عمير قال كتب عمر الى النعمان بن مقرن واستشر
واستعن في حربك بطليحة وعمرو بن معدي كرب ولا تولهما من الامر شيئا
فان كل صانع هو اعلم بصناعته انتهى والوجه في ذلك انحطاط مرتبة
طليحة بما ارتكبه بعد النبي صلى الله عليه وسلم من الردة ودعوى النبوة الى ان
قاتله خالد بن الوليد في زمن ابي بكر رضي الله عنهما وقتل طليحة في حربه ثابت
ابن اقرم وعكاشة بن محصن ثم انهزم وقتل اكثر جيشه ثم قدم على ابي بكر مسلما

وحسنت

وحسنت توبته لكن حط ذلك من مرتبته ذكر ابو عمر في الاستيعاب
انه قدم على عمر رضي الله عنه فقال له انت قاتل الرجلين الصالحين قال لم يهني الله
بايديهما واكرمهما بيدي قال والله لا احبك ابدا قال فمعاشرة جميلة يا امير المؤمنين
انتهى واما عمرو فكان معروفا بالتهور واقتحام المهالك وربما يؤخذ من ذلك
ما ذكر عبد القادر السلوي في طبقات الشعراء فقال روي انه نزل على النهر يوم
القادسية وقال لاصحابه اني عابر على الجسر وقادم على العدو فان اسرعتم مقدار
جزر الجزور وجدتموني وسيفي في يدي اقاتل به تلقاء وجهي وقد عقرني
القوم وانا قائم بينهم وان ابطاتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم حمل على القوم فانغمس
بينهم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله انا لنرى
ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا اليه وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس
من افراس العجم فامسكه وان الفارس ليضربه فما يقدر الفرس ان يتحرك فلكواه
فلما غشيناه رمى الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال انا ابو ثور كدتم
والله تفقدوني قالوا اين فرسك قال رمي بنشابة فغار وشب نفر عنه انتهى
والمتهور لا يصلح لرياسة الجند اذ ربما غرر بهم فالقى بهم الى التهلكة وانه خارج
عن حد الشجاعة المطلوبة لانهم قد عرفوها بانها هيئة حاصلة للقوة هـ

الفضيلة بين التهور والجبن بما يقدم على امور ينبغي ان يقدم عليها كالقتال
مع الكفار مالم يزيدوا على المسلمين كما في تعريفات السيد ثم بعد هذه المرتبة
ينزل كل احد من احاد الجند في مرتبته التي تليق به على حسب ماله من
الفضيلة والفنا وينبغي ان يراعي ذلك في تدوين الدواوين وتوفير العطايا
فان المعروف من سيرة عمر رضي الله عنه روى ابن سعد عن جبير بن الحويرث ان
عمر بن الخطاب رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان فقال له علي
ابن ابي طالب تقسم كل سنة ما اجتمع اليك من مال ولا تمسك منه شيا وقال
عثمان بن عفان ارى مالا كثيرا يسع الناس وان لم يحصوا حتى يعرف من اخذ
ممن لم ياخذ خشيت ان ينتشر الامر فقال له الوليد بن هشام بن المغيرة يا
امير المومنين قد جئت الشام فرايت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا
فاخذ بقوله فدعى عقيل بن ابي طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم
وكانوا من نساب قريش فقال اكتبوا الناس على منازلهم فكتبوا فبدؤوا ببني
هاشم ثم اتبعوهم ابا بكر وقومه ثم عمر وقومه على الخلافة فلما نظر فيه عمر قال
وددت والله انه هكذا ولكن ابدؤوا بقرابة النبي صلى الله عليه وسلم الاقرب فالاقرب
حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله وروى ايضا ابو عبيد في كتاب الاموال

وابن

وابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب عمن ادرك ذلك قال كتب عمر بن الخطاب
الى عمرو بن العاص انظر من كان قبلك ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة
فاتمم لهم العطاء مائتي دينار واتمها لنفسك لامرتك واتمها لخارجة بن حذافة
لشجاعته ولعثمان بن ابي العاص لضيافته وفي التنبيه كان ابو بكر رضي الله عنه
يسوي في العطاء من بيت المال وكان عمر رضي الله عنهم يعطيهم على قدر الحاجة
والفقه والفضل قال والاخذ بما فعل عمر رضي الله عنه في زماننا احسن
فتعتبر الامور الثلاثة انتهى

الفصل الثالث في تصنيف الجند

وهو جعلهم اصنافا متعددة كل صنف على حدته وهو امر معروف من سيرته
صلى الله عليه وسلم في حروبه ففي سيرة ابن سيد الناس عن ابن سعد في الحديث
عن غزوة بدر كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب ابن
المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ انتهى وفي سيرة ابن اسحاق في الحديث
عن غزوة احد وعقد يعني النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة الوية لواء للاوس بيد
اسيد بن الحضير ولواء للمهاجرين بيد علي بن ابي طالب وقيل بيد مصعب ابن
عمير ولواء للخزرج بيد الحباب بن المنذر وقيل بيد سعد بن عبادة وفيها ايضا

في الحديث عن غزوة الفتح وإسلام أبي سفيان بن حرب ثم أمر النبي
صلى الله عليه وسلم العباس أن يحبس أبا سفيان بمضيق الوادي عند خطم الجبل
حتى تمر جنود الله فيراها ففعل فمرت القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة
قال يا عباس من هذه فأقول سليم فيقول ما لي ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول
يا عباس من هؤلاء فيقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفذت القبائل
ما تمر به قبيلة إلا سألني عنها فإذا أخبرته قال ما لي ولبني فلان حتى مر به
رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يرى
منهم إلا الحدق من الحديد فقال سبحان الله يا عباس من هؤلاء قال قلت هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والأنصار فقال ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة انتهى
المقصود منه ووقع في صحيح البخاري أن كتيبة الأنصار جاءت مع سعد بن عبادة
ومعه الراية قال ولم ير مثلها ثم جاءت كتيبة هي أقل الكتائب فيهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأصحابه قال ابن سيد الناس كذا وقع عند جميع الرواة ورواه الحميدي
في كتابه هي أجل الكتائب وهو الأظهر انتهى ففي هذه الأخبار أن جند رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان أصنافا مصنفة كل قبيلة على حدتها متميزة عن غيرها وهذا
مما يقتضيه حسن السياسة في تدبير أمر الجند تحرزا من الاختلاف وافتراق الكلمة

لما في خلط الفرق المختلفة من تفريقهم وثوران الفتنة بينهم بحسب اختلاف طباعهم
وميل كل فريق لمن ينتسب إليه بمقتضى الطبع البشري فإفراد بعضهم عن بعض
أدعى للألفة وحسن العشرة لأن مبناها على اتحاد الطبع وتقاربه واتحاد الوطن
والحال المرغب فيهم في ذلك قال الشاعر الناس كالأرض ومنها هم من خشن الأرض ومن لين
وقال امرؤ القيس أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب ثم
ولأنه أدعى للجد والاجتهاد لما جبلت عليه النفوس من حب الانفراد بالمآثر
واعتداد كل أحد بمآثره تنسب لفريقه وأنفته من معرة تنسب إليهم وتختص
دونهم ولأنه أسرع للإجابة عند وقت الحاجة وأرهب للعدو وعند كثرة الجمع وأمكن
من التعاون وعبور المسالك الضيقة وتقديم المعروفين بالشدة والبأس وإبعاد
من عهدت منه الهزيمة وأدعى للكر بعد الفر وغير ذلك مما لا يخفى على من جرب

الفصل الرابع في [illegible] عدد الجند

قال الله تعالى خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم وحكاية لما ثبت به أصحابه رضي الله
عنهم في يوم بدر وأحد على ما في ذلك من الخلاف بين أئمة التفسير إذ تقول للمؤمنين
ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وقال تعالى

ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين
كفروا بانهم قوم لا يفقهون الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم
مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا الفين باذن الله والله مع الصابرين
وروى احمد وابو داود والترمذي وحسنه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال خير الصحابة اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش
اربعة الاف ولا يهزم اثنا عشر الفا من قلة وروى ابو نعيم عن اكثم بن الجون ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا اكثم لا يصحبك الا امين ولا ياكل طعامك الا امين
وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الاف ولن يغلب قوم يبلغون اثني عشر
الفا وروى ابن ماجة عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
يا اكثم بن الجون الخزاعي يا اكثم اغز مع غير قومك يحسن خلقك وتكرم على رفقائك
يا اكثم خير الرفقاء اربعة وخير الطلائع اربعون وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش
اربعة الاف ولن يغلب اثنا عشر الفا من قلة قلت فيما تلونا ورويناه اشارة الى ان
عدد الجيش ينبغي ان يكون معلوما محصورا وانه من مقتضيات الاستعداد للحرب
اذ لا يعلم الوفاء بحقه والخروج عن عهدة الامر الا به وفيما رويناه في ذلك اشارة الى
مزيد خصوصية لهذه الاعداد المعينة وان لله تعالى فيها سرا اطلع عليه نبيه صلى الله

عليه

عليه وسلم فانه ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى فينبغي المحافظة عليها باستيفاء
عدتها فيوفر لكل من الجيش الاعظم وما دونه والسرية وهي القطعة من الجيش تخرج منه
لاجل الاغارة على الاعداء وترجع اليه سميت بذلك لانها تسري في الليل وتخفي ذهابها
والطليعة وهي القطعة منه تبعث للاطلاع على امر العدو والعدد المحدود له على
لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم واستدل بالاية الاخيرة على وجوب مصابرة العدد
اذا كان ضعف المسلمين وانه لا يحل الفرار الا اذا كان عدد المسلمين اقل من نصف
عدد المشركين وبالاخبار المذكورة على انه لا يجوز الفرار للجيش بلغ اثني عشر الفا
وان كان الكفار اضعافهم وعليه الجمهور تخصيصا للاية الكريمة بها ومن مشايخنا من
قيد ذلك بالطاقة واتفاق الكلمة فاجاز الفرار عند ظن العجز ومنهم اخي جاي زاده
زاده واليه اشار محمد رحمه الله في السير الكبير اذ ذكر فيه انه رخص الفرار من الزحف
اذا كانوا لا يطيقون قلت وهو الاظهر عندي لما عرف من تقييد التكليف بالطاقة وفي
التاتارخانية اذا التجا الى بعض جيوش المسلمين لم يكن فرارا من الزحف لحديث
لانه مستثنى بقوله تعالى الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة

الفصل الخامس في تعديد قواد الجند وعرفائه

قواد الجيش جمع قائد الرئيس من رؤسائه الذي تنقاد له الجماعة منهم يتقدمون

لتقدمه ويتأخرون لتأخره وهو أمير اللواء وعرفاء جمع عريف يعني النقيب رئيس
شاهد القوم وضمينهم ممن دون الرئيس من كبرائهم كالمقدمين على المئين والعشرات
في النظام المستحدث وقد مر لنا في الفصل الثالث تقديمه صلى الله عليه وسلم الوليد جده
وقد عرف من سيرته صلى الله عليه وسلم ومن عادات الناس أن الألوية والرايات لا يحملها
أو يتكفل بها إلا المقدم على القوم فهو أمر غني عن إطالة القول فيه وأما العرفاء
ففي صحيح البخاري عن عروة بن الزبير أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم
أموالهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم معي من ترون وأحب الحديث إلي أصدقه
فاختاروا إحدى الطائفتين إما المال وإما السبي قالوا فإنا نختار سبينا فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال أما بعد فإن
إخوانكم قد جاءونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب
ذلك فليفعل ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء
الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع
إلينا عرفاؤكم أمركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبروه

فأخبروه أنهم قد أذنوا وطيبوا انتهى وكان ذلك وهو صلى الله عليه وسلم بالجعرانة
منقفله من غزوة حنين كما ذكره أرباب السير ففي هذا الحديث أن جند رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان فيه عرفاء يعرفونه بأمر الناس ويستعلم أحوالهم من قبلهم وجاء
في حديثه صلى الله عليه وسلم أن العرافة حق أي أمر ثابت شرعا لا سبيل لإنكاره وأن
العريف لا بد منه لكن مع وعيد شديد محمول على خصوص من لم يقم بحق وظيفته
من حسن رعايته لمن هو مترجي عليهم والنصح لهم بإقامة حكم الله فيهم وإنصافهم
والانتصاف منهم وكفهم عن الظلم فروى أبو داود عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال إن العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء ولكن العرفاء في النار وروى أبو نعيم
في المعرفة عن جعونة بن زياد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا بد من العريف والعريف
في النار وجاء نحو من هذا الوعيد فيمن ولي أمر عشرة فما فوق فروى الإمام أحمد عن
أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من رجل يلي أمر عشرة فما فوق ذلك إلا
أتى الله مغلولا يده إلى عنقه فكه بره أو أوثقه إثمه وروى ابن منده وأبو نعيم
عن الحارث بن محمد عن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من والي عشرة إلا
جيء به يوم القيامة مغلولا معذبا أو مغفورا له وروى الطبراني عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من أمير يؤمر على عشرة إلا سئل عنهم يوم القيامة

فصل سادس في تسويم الجند

قال الله تعالى بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
آلاف من الملائكة مسومين قرئ بفتح الواو وكسرها قال مولانا الجد الأكبر محيي
ابن محمد رحمه الله في تفسيره من السومة وهي العلامة تكون على الشاة وغيرها يجعل
عليها لون يخالف لونها لتعرف به بفتح الواو معلمين وبكسرها معلمين انفسهم او خيلهم ثم
قال روي ان الملائكة كانت بعمائم بيض الا جبريل فبعمامة صفراء كالزبير قال ابو اسحاق
والزجاج وقيل بعمائم صفر كالزبير قاله عروة وعبد الله ابنا الزبير وعباد بن حمزة ابن
عبد الله بن الزبير والكلبي وزاد مرخاة على اكتافهم وقيل كانت خيلهم مجزوزة النواصي
والاذناب فعلمتها بالصوف والعهن قاله مجاهد انتهى وقال الامام البغوي في تفسيره
روي انه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق
عليهم ثياب بيض وعلى رؤوسهم عمائم بيض وقد ارخوا اطرافها بين اكتافهم قال وقال
عبد الله بن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر انتهى
وحكى الامام السيوطي في فتاويه عن ابن عباس ايضا انها كانت عمائم سود انتهى وروى
البخاري ومسلم عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال رأيت على يمين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعلى شماله يوم احد رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان كاشد القتال ما رأيتهما

قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل عليهما السلام قال مولانا الجد الأكبر رحمه الله في
الآية دليل على جواز اتخاذ العلامة للقبائل والكتائب لتتميز كل قبيلة وكتيبة عند
الحرب انتهى قلت بل قد روى ابن جرير في تفسيره فقال حدثني يعقوب نا ابن
علية نا ابن عون عن عمير بن اسحاق قال ان اول ما كان الصوف ليومئذ يعني يوم بدر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسوموا فان الملائكة قد تسومت ثم في الحديث
انه صلى الله عليه وسلم امر به اصحابه فلا اقل من استحبابه وروى الطبراني عن خالد
ابن سليمان بن عبد الله بن خالد بن سماك بن خرشة عن ابيه عن جده ان ابا دجانة
يوم احد اعلم بعصابة حمراء فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يختال في مشيه
بين الصفين فقال انها مشية يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع وربما [illegible]
بالتسويم الشعار قال في الفتاوى الظهيرية وينبغي ان يتخذ لكل قوم شعار حتى اذا
ضل رجل عن رايته نادى بشعاره وليس ذلك بواجب و[illegible] العلامة والخيار
الى امام المسلمين الا انه ينبغي ان يختار كلمة دالة على ظفرهم بالعدو بطريق التفاؤل
انتهى قلت روى ابو داود والترمذي عن المهلب بن ابي صفرة قال اخبرني من سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان بيتم فليكن شعاركم حم لا ينصرون قال الامام الخطابي
في معالم السنن بلغني عن ابن كيسان النحوي انه سأل ابا العباس احمد بن يحيى عنه

فقال معناه الخبر ولو كان معناه الدعا لكان مجزوما اي لا ينصروا وانما هو اخبار كانه
قال والله لا ينصرون وقد روي عن ابن عباس انه قال حم اسم من اسماء الله عز وجل
فكانه حلف بالله لا ينصرون انتهي قلت اي فهو قسم اريد به المبالغة في ترجي
الاجابة حتي كانها وقعت فهو خبر عنها كما في قوله رحمه الله واشباهه وروي ابو
داود عن سمرة بن جندب قال كان شعار المهاجرين عبد الله وشعار الانصار عبد
الرحمن وروي ايضا عن سلمة قال غزونا مع ابي بكر زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم
فكان شعارنا أمِت امت

الفصل السابع في تخفيف ملابس الجند وتقصيرها

ترجم البخاري في صحيحه فقال باب الجبة في السفر والحرب ثم روي باسناده عن
المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال انطلق رسول الله صلي الله عليه وسلم لحاجته
ثم اقبل فتلقيته بماء فتوضا وعليه جبة شامية فمضمض واستنشق وغسل وجهه
فذهب يخرج يديه من كميه وكانا ضيقين فاخرجهما من تحت فغسلهما ومسح براسه
وعلي خفيه وروي البخاري ايضا في ابواب غزوة تبوك عن مغيرة بن شعبة قال
ذهب النبي صلي الله عليه وسلم لبعض حاجاته فقمت اسكب عليه الماء لا اعلمه الا انه
قال في غزوة تبوك فغسل وجهه وذهب يغسل ذراعيه فضاق عليه كم الجبة
فاخرجهما من تحت جبته فغسلهما ثم مسح علي خفيه وروي مسلم عن المغيرة ابن
شعبة قال كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم في سفر فقال يا مغيرة خذ الاداوة
فاخذتها ثم خرجت معه وعليه جبة شامية ضيقة الكمين فذهب يخرج يده من
كمها فضاقت فاخرج يده من اسفلها فصببت عليه فتوضا وضوءه للصلاة ثم مسح
علي خفيه ثم صلي وروي البخاري ومسلم وابو داود والنساي عن المغيرة قال
كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم ذات ليلة في سفر فقال لي امعك ماء قلت نعم فنزل عن
راحلته فمشي حتي توارى في سواد الليل ثم جاء فافرغت عليه من الاداوة فغسل
وجهه وعليه جبة من صوف فلم يستطع ان يخرج ذراعيه منها حتي اخرجهما من
اسفل الجبة فغسل ذراعيه ومسح راسه ثم اهويت لانزع خفيه فقال دعهما فاني
ادخلتهما طاهرتين ومسح عليهما وروي البغوي في صحاح المصابيح عن المغيرة ابن
شعبة ان النبي صلي الله عليه وسلم لبس جبة رومية ضيقة الكمين وتبوك بفتح فضم
موضع في طرف الشام بينه وبين مدينة النبي صلي الله عليه وسلم نحو اربع عشرة مرحلة
وبينه وبين دمشق احدي عشرة مرحلة كما ذكره النووي في تهذيب الاسما
فدل هذا الحديث الشريف بمجموع رواياته انه صلي الله عليه وسلم لبس في هذه الغزوة
التي قصد بها ناحية الشام وحرب الروم لما بلغه انهم جهزوا الحرب اربعين الفا كما ذكره

ارباب السير حيث صور من جنس ثيابهم كانت ضيقة الكمين جدا حتى ضاقت
عن اخراج يديه الكريمتين منها فاستفيد منه استحباب لبس الثياب الضيقة في
السفر والغزو كما اشار اليه البخاري بالترجمة التي حكيناها عنه ونبه عليه بعض شراحه
لانها امكن من خفة الحركة وسهولة الركوب والنزول وابعد من الاشتغال بها عند
مجالدة الاعداء فانه موطن احق بقول من قال البس من الثياب ما يخدمك ولا
يستخدمك ولامن من تعلق العدو بها عند مصارعته وكانت غزوة تبوك في
حر شديد كما في صحيح البخاري وغيره والثياب الضيقة لا تناسبه لانه يقوي
معها الحر فلا يتجه احتمال قصده صلى الله عليه وسلم التدفي بها نعم يقوي احتمال كونه
قصد المكيدة بها حتى لا يعرف ويخفى على العدو وانه بعض عمال الروم لمددهم لكن
لا اقل من ان يثبت جواز لبس ثياب الكفار بقصد مكيدتهم فان هذه الجبة كانت
من ثيابهم وهم يومئذ اهل حربه صلى الله عليه وسلم فيفيد تخصيص الخبر الذي
رواه احمد وابو داود عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تشبه
بقوم فهو منهم وينبغي حمله على خصوص من جرد قصده للتشبه بهم فيخرج عن
عمومه من كان له فيه غرض صحيح من مصلحة دينية او دنيوية فكان الصحيح
في مسئلة من لبس قلنسوة المجوس لدفع البرد ولان البقرة لا تعطيه اللبن الا بها

اثره

وتزيا

وتزيا بزي الكفار خديعة لحربهم قول من قال من مشايخنا انه لا باس به وان صح
في الحيل الكفارة فان مستند تصحيحه عموم خبر التشبه وقد علمت ما فيه على انه خبر
ضعفه ائمة الحديث كما نص به السخاوي في المقاصد الحسنة واما تقصير الثياب
فجاء عن طاوس فيما حكى البغوي عنه في تفسير قوله تعالى وثيابك فطهر قال قصر
لان تقصير الثياب طهرة لها انتهى قال مولانا الجد الاكبر رحمه الله في تفسيره وذلك
ان المشركين كانوا لا يصونون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات وفي الثوب الطويل
من الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنزاه عن طول الثوب وامره
بتقصيره لذلك وشمول ما امر به من رفض العادات المذمومة شيء وجاء في جرها
ما روى البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اسفل من الكعبين من
الازار ففي النار وما روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وفي لفظ للبخاري عنه من جر
ثوبه من مخيلة لم ينظر الله اليه يوم القيامة وروى ابو داود والنسائي وابن ماجة
عن سالم عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة
من جر شيئا منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة الخيلاء بضم او كسر ففتح و...
الكبر والعجب والمخيلة بفتح فكسر الكبر واستحقار الناس وروى ابو داود عن ابي

سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إزرة المؤمن
إلى نصف الساق ولا جناح فيما بينه وبين الكعبين ما كان أسفل من الكعبين فهو في
النار ومن جر إزاره بطرا لم ينظر الله إليه. الإزرة بالكسر الحالة وهيئة الائتزار مثل
الركبة والجلسة قاله ابن الأثير في نهايته، وقوله في النار قال الإمام الخطابي في معالم
السنن يتأول على وجهين أحدهما أن ما دون الكعبين من قدم صاحبه في النار عقوبة
له على فعله، والوجه الآخر أن يكون معناه أن صنيعه ذلك وفعله الذي فعله في النار
على معنى أنه معدود ومحسوب من أفعال أهل النار انتهى. قلت والأوجه عندي أن
اسم النار مستعمل في معنى المعصية إطلاقا لاسم المسبب على السبب لقصد المبالغة
في كمال الارتباط بينهما والمعنى ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في معصية الله
الموصلة إلى النار، ففي هذا الخبر الكريم بيان أن الأفضل أن يكون منتهى طول الثياب
إلى نصف الساق وأن الزيادة على ذلك إلى منتهى الكعب مرخص فيها من غير تضييق
ولا تأثيم وأن ما أسفل من الكعبين غير مرخص فيه بل متوعد عليه بالنار فظاهره
إطلاق تحريمه وإن لم يقصد به الخيلاء لأنه ما قيد بها لكن الإمام النووي في شرح مسلم
حمله على خصوص من قصد الخيلاء للأخبار التي جاءت مقيدة بذلك وحكى نحوه
الإمام البركلي تعالى في الطريقة المحمدية وأما تطويل الثوب إلى ما تحت الكعب فإن

كان كبرا فمكروه تحريما وإلا فتنزيها انتهى. قلت وفي ذلك نظر لأن المطلق إنما يحمل
على المقيد إذا لم يقم دليل إرادة الإطلاق وما نحن فيه مما قام دليل إطلاقه فإن
تطويل الثوب إلى ما تحت الكعب في حق الرجل من الإسراف المحرم بنص الكتاب وقد
روى أحمد والنسائي وابن ماجه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا ما لم يخالطه إسراف
ولا مخيلة ورواه البخاري في صحيحه تعليقا، وقال ابن عباس كل ما شئت
والبس ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف أو مخيلة فتقييد الإباحة في كل من
الخبر والأثر يفيد أن كلا منهما علة مستقلة للمنع فالصحيح إطلاق كراهته الكراهة
التحريمية لما ذكرنا وكذا الإفراط في توسيع الثوب وإطالة الكمام لأنه إسراف
وجاء في صفة لباسه صلى الله عليه وسلم برواية أبي داود والترمذي عن أسماء بنت
يزيد رضي الله عنهما قالت كان كم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرسغ وبرواية ابن
ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس قميصا
قصير اليدين والطول وبرواية الحاكم عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان قميصه فوق الكعبين
وكان كمه مع الأصابع وبرواية ابن عساكر عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم
كان يلبس قميصا فوق الكعبين مستوي الكمين بأطراف أصابعه، قال الإمام السيوطي

في زمن الخلفاء وجمع بعضهم بين هذا وبين الحديث الاول بان هذا كان يلبسه في الحضر
وذاك في السفر انتهى ويؤيده ما اخرجه سعيد بن منصور والبيهقي عن علي رضي الله عنه
انه كان يلبس القميص ثم يمد الكم حتى اذا بلغ الاصابع قطع ما فضل ويقول لا فضل للكمين
على الاصابع انتهى واخرج البيهقي عن علي رضي الله عنه انه ابتاع قميصا فجاء بخياط فمد كم
القميص وامره ان يقطع ما خلف اصابعه انتهى قلت فاشار رحمه الله الى انه صلى الله عليه وسلم
كان يراعي مقتضيات الاحوال وان اللائق بحال السفر تقصير الثياب فتحمل رواية القصر
على حال السفر لانه مستدع لتقصيرها وروى الروياني وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله
عنهما انه صلى الله عليه وسلم كان يلبس القلانس تحت العمائم وبغير العمائم ويلبس العمائم بغير
قلانس وكان يلبس القلانس اليمانية ومنها البيض المضربة ويلبس ذوات الاذان
في الحرب فدلت هذه الاخبار وما نقلنا من الآثار ان تقصير الثياب امر فاضل على الاطلاق
وان تغيير الزي وتضييق الثياب رعاية لما يقتضيه الحرب امر مشروع ولا وجه لاستنكاره
بل الوجه انه مستحب لانه ابلغ في الاستعداد له فكان من مكملات الواجب ومكمله لا اقل
من استحبابه وقد روى مسدد في مسنده عن عمر رضي الله عنه انه قال وفروا الاظفار كم
في الحرب فانه سلاح ونص مشايخنا ايضا على استحباب توفيرها ومعلوم ان قصها مرغب فيه
معدود في خصال الفطرة ولما امر عمر رضي الله عنه بتركها لما هو اهم منه فاذا جاز ترك

قصها المرغب فيه لنوع الاحتياج اليها على ضعف جدواه وعد من المستحبات فتضييق
الثياب اولى لعظم منفعته مع انه لم يرد فيه نهي ولا ترغيب منه صلى الله عليه وسلم فكيف
مع ما روينا من خبر الجبة فان قلت ظاهر خبر التشبه شمول التضييق لانه من سيما
الكفرة والاصل في تعارض الادلة تقديم المحرم قلت محل ذلك ما اذا تعذر التوفيق وقد
امكن ذلك فيما نحن فيه بتخصيص خبر التشبه بالقاصد اليه كما بيناه بل نقول ان
القصد من مدلولات صيغته لما تقرر في علم التصريف من ان صيغة تفعل للتكلف وان
معناه ان الفاعل يتعاطى ذلك الفعل ليحصله وان الفاعل في تحلم زيد يطلب ان يكون حليما
كما بينه الجاربردي في شرح الشافية وبهذا تبين بطلان قول من قال باكفار غير القاصد
وانه من نتيج الزلل مع منابذته لما اصله ابو حنيفة من عدم اكفار المسلم مع وجود ادنى
شبهة ثم التضييق الذي اختص به الكفرة هو تخييط الثياب والسراويلات بحيث تصف
العورة على شكل خاص وثياب النظام الاسلامي ليست بهذه المثابة بل تخالفها في اكثر
الصفات ومشابهتها اياها من بعض الوجوه لا يثبت التشبه لان الخبر مطلق فيه
والمطلق ينصرف الى الكامل ولا يتناول الناقص كما عرف في الاصول فكانت خارجة عنه
مترقية عن مرتبة الاباحة الى الاستحباب لما بينا

وليس يصح في الاذهان شيء ... اذا احتاج النهار الى دليل

الفصل الثالث في تثبيت موقف جند وتحصين [illegible]

هو امر معروف من سيرته صلى الله عليه وسلم مقرر في الكتاب العزيز مع توجيه العتاب
الى من قصر في لزوم موقفه والاعتناء بما هو مرصد له من عمله والاشارة الى التاثيم
بذلك ان لم يتداركه الله بعفوه قال تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم
باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من
يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو
فضل على المومنين قال الامام ابن جرير في تفسيره يعني ولقد صدقكم الله وعده ايها
المومنون من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والوعد الذي كان وعدهم على لسانه باحد
قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا وان رايتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين
ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ ان انتهوا الى
امره ثم روى باسناده عن السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين
باحد امر الرماة فقاموا باصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم
ان رايتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وامر عليهم عبد الله بن جبير
اخا خوات بن جبير ثم ان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر
اصحاب محمد انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة

فهل

فهل منكم احد يعجله الله بسيفي الى الجنة او يعجلني بسيفه الى النار فقام اليه علي بن
ابي طالب فقال والذي نفسي بيده لا افارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار او يعجلني
بسيفك الى الجنة فضربه علي فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال انشدك الله
والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي اصحابه ما منعك ان
تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير
تجهز
ابن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه فهزموا ابا سفيان فلما راى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين
حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في
جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما راى خالد قلة الرماة صاح في
خيله ثم حمل على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما راى المشركون ان خيلهم تقاتل
تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم وروينا ايضا عن البراء قال لما كان يوم
احد ولقينا المشركين اجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وامر
عليهم عبد الله بن جبير اخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان رايتمونا
ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رايتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما لقي القوم هزم

المشركون حتى رايت النساء رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة
الغنيمة فقال عبد الله مهلا اما علمتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فابوا
فانطلقوا فلما اتوهم صرف الله وجوههم فاصيب من المسلمين سبعون قتيلا وروي
ايضا عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه فان ابا سفيان
اقبل في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل احدا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذن في الناس فاجتمعوا وامر على الخيل الزبير بن العوام ومعه يوميذ المقداد ابن
الاسود الكندي واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له
مصعب بن عمير وخرج حمزة بن عبد المطلب بالجيش وبعث حمزة بين يديه واقبل خالد
ابن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة بن ابي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى اوذنك وامر بخيل اخرى
فكانوا من جانب اخر فقال لا تبرحوا حتى اوذنكم واقبل ابو سفيان يحمل اللات والعزى
فارسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الزبير ان يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه
فقال ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر
وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وان الله وعد المومنين ان ينصرهم وانه معهم وروي
ايضا عن عبد الله بن الزبير قال قال الزبير والله لقد رايتني انظر الى خدم هند ابنة

عتبة

عتبة وصواحبها مشمرات هوارب ما دون اخذهم قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر
حين كشفنا القوم فاتينا من ادبارنا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل فانكفانا وانكفا
علينا القوم بعد ان ردينا اصحاب اللواء حتى ما يدنوا منه احد من القوم وقوله اذ
تحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا قال مولانا الجد الاكبر في تفسيره وكانوا قتلوا من
المشركين اثنين وعشرين رجلا وقوله حتى اذا فشلتم غاية للقتل والفشل الجبن
والضعف والتنازع التجاذب في الامر المراد به ما وقع من الرماة وعصيانهم مخالفتهم
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بملازمة المركز قال ابو حيان في تفسيره وجاءت
المخاطبة للجميع على طريقة العرب في نسبة ما يقع من بعضهم للجميع على سبيل التجوز ستر
لمن فعل وزجر لمن لم يفعل ان يفعل وقوله من بعد ما اراكم ما تحبون اي من الظفر
والغلبة على المشركين وجواب اذا محذوف اي امتحنكم والذين يريدون الدنيا هم التاركون
للمركز للدنيا الغنيمة والذين يريدون الاخرة الثابتون في مركزهم مع اميرهم عبد الله
ابن جبير في نفر دون العشرة فقتلوا جميعا كما ذكره مولانا الجد في تفسيره وقوله ثم
صرفكم عنهم اي عن المشركين فرد وجوهكم عنهم لمخالفتكم الامر وايثاركم الدنيا عقوبة لكم
على ما فعلتم وقوله ليبتليكم اي ليختبركم فيميز المخلص من غيره والمومن من المنافق
وقوله ولقد عفى عنكم اي عاملكم بعفوه عن عظيم ما ارتكبتموه من مخالفة الامر وخيانة

الله ورسوله والمومنين اذ لم يثبتا لكم العدو وزلزلوا والله ذو فضل على المومنين اي
تفضل عليهم فلا يجازيهم بجميع ما يستحقونه من العقوبة ففي هذه الاية الكريمة اشارة
الى تحذير المسيئين لمواقف من مفارقة مراكزهم ومن المبادرة الى المغنم بان ذلك من
موجبات الفشل والضعف وسوء الدايرة مع ما فيه من المعصية والاثم العظيم والوصف
الذميم فان الخطاب الكريم وان وجه لاهل احد فغيرهم مراد منه بالاولى روى ابن
جرير عن الحسن في قوله ولقد عفا عنكم قال قال الله عز وجل قد عفوت عنكم اذ عصيتموني
الا تكونوا استاصلتكم ثم يقول الحسن هولاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله
غضاب لله يقاتلون اعداء الله نهوا عن شيء فضيعوه فوالله ما تركوا حتى غموا
بهذا الغم فافسق الفاسقين اليوم يتجرم كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب
عليها ثيابه ويزعم الا باس عليه فسوف يعلم انتهى نقله فاشار رحمه الله الى ان الامر
في غيرهم اشد وان العفو الذي خوطبوا به مع ما في ضمنه من التقريع انما حصل لهم ببركة
صحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقتالهم بين يديه ولا كذلك غيرهم فافادت الاية
الكريمة حرمة التزحزح عن المراكز واستعجال الغنيمة قبل تمام الفتح وان من خالف
حكم الله في ذلك فقد عرض نفسه لغضب الله تعالى وتعجيل عقوبته بعظيم ما اجترم
من خذلان الدين وخيانة المسلمين وقال تعالى واذ غدوت من اهلك تبوئ

المومنين

المومنين مقاعد للقتال والله سميع عليم خطاب للمومنين وعامل اذ محذوف
تقديره واذكروا اذ غدوت والخروج اول النهار وكان ذلك في غزوة احد على ما عليه الاكثر
وقيل في غزوة الاحزاب وتبوئ بمعنى تنزل ومقاعد جمع مقعد مكان القعود والمراد
مواطن ومواقف قال في الكشاف اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل
المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من
مقامك اي من مجلسك وموضع حكمك انتهى وقال ابن عطية لفظ القعود ادل
على الثبوت ولا سيما ان الرماة انما كانوا قعودا وكذلك كانت صفوف المسلمين اولا
والمبارزة والسرعان يجولون قال وجمع المقاعد لانه عين لهم مواقف كالميمنة
والميسرة والقلب والساقة وبين لكل فريق منهم موضعهم الذي يقفون فيه
وخرج صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب يوم السبت للنصف من
شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان بدا
صدر اخارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى
احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من
ورائنا انتهى قال الامام ابو منصور الماتريدي وفي الاية ان الائمة هم الذين يتولون
امور العساكر ويختارون لهذه المقاعد وعليهم تعاهد احوالهم ودفع الخلل والخفا

ع

عنهم ما احتمل وسمعهم وعليهم طاعة الائمة وقبول الامارة من الامام قال تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم انتهى قال الامام الطرطوشي
في سراج الملوك من احزم ما وقف عنده سواس الحروب ان تكون حماة الرجال وكماة
الابطال في القلب فاذا كانت راياته تخفق وطبوله تضرب كانت حصنا للجناحين
ياوي اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال الطاير اذا انكسر
احد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين واذا انكسر الراس ذهب الجناحان ولا
يجدي كثرة انكسار جناحي العسكر وثبات القلب ثم يرجع الفارون الى القلب و
يكون الظفر لهم وقل عسكر انكسر قلبه فافلح اللهم الا ان يكون مكيدة من صاحب
الجيش فيجعل القلب قصدا وتعمدا وانقيادا لتدبير امر حتى اذا توسط العدو
اشتغل بنهبه فانطبقت عليه الجناحان

الفصل التاسع في عقد الالوية والرايات وما يتعلق بها

الالوية جمع لواء العلم الصغير والرايات جمع راية العلم الكبير من اللواء واصغر من
البند وقد مر لنا فيما سبق نقل عقده صلى الله عليه وسلم الالوية المنعقدة في
غزوة بدر وانه خص كلا من الاوس والخزرج والمهاجرين بلواء ونقل في السيرة
الحلبية عن ابن اسحاق وابن سعد انه لم تكن الرايات الا يوم خيبر فانه صلى الله عليه وسلم

فرق

فرق الرايات يومئذ بين ابي بكر وعمر والحباب بن المنذر وسعد بن عبادة رضي الله عنهم
وانما كانت الالوية انتهى وروى اصحاب السنن الاربعة عن جابر رضي الله عنه
قال كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم دخل مكة ابيض وروى ابن اسحاق في
سيرته عن عائشة رضي الله عنها قالت كان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح
ابيض ورايته سوداء تسمى العقاب من مرط مرحل وفي سيرة الدمياطي وكانت له
صلى الله عليه وسلم راية سوداء مربعة من نمرة مخملة يقال لها العقاب وكانت له راية
صفراء ولواؤه ابيض انتهى وفي السيرة الحلبية جاء في بعض الروايات انه صلى الله عليه
وسلم كان له لواء ابيض مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله بالسواد انتهى قال
في الفتاوى الظهيرية ينبغي ان تكون الوية المسلمين بيضاء والرايات سوداء واللواء
للامام والرايات للقواد انتهى اي لان المعروف من سيرته انه صلى الله عليه وسلم كان
يدفع رايته الى قايد جيشه كما يفيده ما روى البخاري عن سلمة بن الاكوع قال كان
علي بن ابي طالب تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيبر وكان رمدا فقال انا اتخلف
عن رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم فلحق فلما اتينا الليلة التي فتحت خيبر قال لاعطين
الراية غدا او لياخذن الراية غدا رجل يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله
يفتح الله على يديه فنحن نرجوه فقيل هذا علي فاعطاه ففتح على يديه وروي

الامام احمد عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ
الراية فهزها ثم قال من ياخذها بحقها فجاء فلان فقال انا قال امض ثم جاء رجل اخر
فقال امض ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي كرم وجه محمد لاعطينها رجلا لا يفر
هاك يا علي فانطلق حتى يفتح الله عليك وحدك وفي هذا الخبر اعتناؤه صلى الله
عليه وسلم بامر الراية واختياره لها من تقدمت تجربته وعلم منه الوفاء بحقها فان علي ابن
ابي طالب تقدم له قبل ذلك مشاهد علم منها بصره بالحرب وعرف بالشجاعة والاقدام
فقد ذكر ابو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب انه رضي الله عنه شهد بدرا والحديبية
وسائر المشاهد ما عدا تبوك وانه ابلى يوم بدر واحد والخندق بلاء عظيما وانه اغنى
في تلك المشاهد وقام فيها المقام الكبير قال وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده في مواطن كثيرة وانه لما قتل مصعب بن عمير يوم احد وكان اللواء بيده دفعه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي انتهى قال صاحب المستظرف عن مصعب
الزبيري قال كان علي رضي الله عنه حذرا في الحرب شديد الروغان من قرنه لا يكاد احد
ان يتمكن منه وكان درعه صدرا لا ظهر لها فقيل له الا تخاف ان تؤتى من قبل ظهرك
فقال اذا امكنت عدوي من ظهري فلا ابقى الله عليه ان ابقى علي انتهى قال صاحب
المستظرف وقيل له كيف صرت تقتل الابطال فقال لاني كنت القى الرجل فاقدر اني

اقتله

اقتله ويقدر هو اني اقتله فاكون انا ونفسه عونا عليه انتهى فما اثره رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا لما شهدت له به التجربة وكوشف به من صدقه واخلاصه وتاييده
بعناية ربانية فلا يجوز لامير الجند ان يمكن من راياته الا من شهدت التجربة بسداد
رايه في الحرب وقوة قلبه واقدامه في مواطن الاقدام وحسن تخلصه اذا عظم البلا
وتفرس فيه صدق النية ونصح الدين فانما نصبت علما لرفعة الدين واعلاء كلمة الله
وقياد الاهل وانصار دينه فلا يحل له ان يقلد لها من يظن به العجز عن القيام بحقها
قال الامام الطرطوشي في سراجه الشان كل الشان في استجواد القواد وانتخاب
الامرا واصحاب الالوية فقد قالت حكماء العجم اسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب
يقود الف اسد قال ولا ينبغي ان يقدم على الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة
والشجاعة والجراة ثبت الجنان صارم القلب جريء رابط الجاش صادق الباس
ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران وقارع الابطال
عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواقع الغلب والميمنة والميسرة من الحروب وما الذي
يجب سده بالحماة والابطال من ذلك بصيرا بصفوف العدو ومواقع الغرة منه
ومواضع الشدة منه فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رايه كان جميعهم كانهم
مثله فان راى لقراع الكتائب وجها والا رد الغنم للزربية وقال الامام شمس.

الاية السرخسي في المبسوط يحكي عن نصر بن سيار قال اجمع عظماء العجم وغيرهم
على ان قايد الجيش ينبغي ان تكون فيه عشرة خصال من خصال البهايم شجاعة
كشجاعة الديك وتحنن كتحنن الدجاجة وقلب كقلب الاسد وروغان كالثعلب
اي يكون صاحب مكر وحيلة وغارة كغارة الذيب وحذر كحذر الغراب وحرص كالكركي
وصبر على الجراح كالكلب وحملة كالخنزير وسمن كما يكون لدابة بخراسان لا تهزل
شيء
قال في جامع الكبير للامام السيوطي قال المدايني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه
اوصى يزيد ابن ابي سفيان حين وجهه الى الشام فقال سر على بركة الله فاذا دخلت
بلاد العدو فكن بعيدا من الحملة فاني لا آمن عليك الجولة واستظهر في الزاد وسر
بالادلاء ولا تقاتل بمجروح فان بعضه ليس معه واحترس من البيات فان في العرب
غرة واقلل من الكلام فانما لك ما وعي عنك فاذا اتاك كتابي فانفذه فانما اعمل على
حسب انفاذه واذا قدمت وفود العجم فانزلهم معظم عسكرك واسبغ عليهم النفقة
وامنع الناس من محادثتهم ليخرجوا جاهلين ولا تلحن في عقوبة ولا تسرعن اليها
وانت تكتفي بغيرها واقبل من الناس علانيتهم وكلهم الى الله في سرائرهم ولا تجسس
عسكرك فتفضحه ولا تهمله فتفسده واستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه
انتهى ثم قد ذكرنا ان اللواء اصغر من الراية توجه ايثار القواد بالاكبر اظهارا له

للتواضع

التواضع المطلوب لا سيما في هذا الموطن ومخالفة عادة اهل الكبر وقد روى البيهقي
عن انس قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وذقنه على راحلته متخشعا
وقال ابن اسحاق في سيرته حدثني عبد الله بن ابي بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليضع راسه تواضعا لله حين راى ما اكرمه الله به من الفتح حتى ان عثنونه
ليكاد يمس واسطة الرحل فهكذا يجب ان يكون حال امراء الاسلام وجنده اذا فتحوا
مدينة او قلعة او ظهروا على عدو ان يستشعروا ضعف انفسهم ومنة المولى سبحانه
وتعالى عليهم بما اكرمهم به من الفتح فيظهروا التواضع والخشوع له تعالى شكرا للنعمة
فان الشكر قياد النعم ولا يكونن حالهم في ذلك كحال سفهاء بني اسرائيل اذ قيل لهم ادخلوا
الباب سجدا وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على استاههم وهم يقولون حنطة في
شعرة وروى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة موتة زيد بن حارثة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قتل زيد فجعفر وان قتل
جعفر فعبد الله بن رواحة وروى ايضا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى زيدا
وجعفرا وابن رواحة للناس قبل ان ياتيهم خبرهم فقال اخذ الراية زيد فاصيب ثم اخذ جعفر
فاصيب ثم اخذ ابن رواحة فاصيب وعيناه تذرفان حتى اخذ الراية سيف من سيوف

الله حتى فتح الله عليهم الذي يعني خالد بن الوليد وكان اخذه اياها من غير تأمير
منه صلى الله عليه وسلم بل برضا من معه من المسلمين كما بينه ابن اسحاق وغيره
ففيما روينا ايضا مزيد اعتنائه صلى الله عليه وسلم بامر الراية واستخلافه عنها واحدا
بعد واحد وثناؤه على اخذها من غير تأمير منه صلى الله عليه وسلم وفي ذلك تشريع
لامته فيستحب لامراء الاسلام ان يستخلفوا عنها ويتأكد ذلك في مواطن الشدة
احترازا من غوائل سقوطها ويجب على الحاضرين المبادرة لاخذها اشادة لعلم الدين
وتثبيتا لقلوب المسلمين واما الراية الحمراء فلم ارها ذكرا الا فيما ذكر صاحب المنتخب
المختار اذ قال في الخبر عن وقعة صفين خطب علي اصحابه فقال ايها الناس ان الموت
طالب لا يعجزه هارب ولا يفوته مقيم اقدموا ولا تنكلوا فليس عن الموت محيص والذي
نفس ابن ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موتة الفراش ايها الناس اتقوا
السيوف بوجوهكم والرماح بصدوركم وموعدي واياكم الراية الحمراء فقال رجل من اهل
العراق ما رايت كاليوم خطيبا خطبنا ان نتقي السيوف بوجوهنا والرماح بصدورنا
ويعدنا راية بيننا وبينها مائة الف سيف انتهى ففي هذا ان جند معاوية رضي الله عنه
كانت لهم راية حمراء وما ذكر ايضا فقال وجمع علي رايات بكر بن وائل كلها للحضين بن المنذر
ابن الحارث بن وعلة وجعل الوثيقة تحت لوائه وكانت له راية حمراء فلم يغن احد غناءه

بصفين

بصفين فقال فيه علي رضي الله عنه

لنا الراية الحمراء يخفق ظلها ، اذا قيل قدمها حضين تقدما
يقدمها في الصف حتى يزيدها ، حياض المنايا تقطر السم والدما
جزى الله عني والجزاء بكفه ، ربيعة خيرا ما اعف واكرما

ففي هذا ايضا ان جند علي رضي الله عنه بصفين كانت لهم راية حمرا

فصل حادي عشر في التدريب على الاعمال الحربية

التدريب من الدربة بالضم عادة وجراءة على الحرب وكل امر فقال درب بالشيء
بالكسر اذا اعتاده وضري به ودربت البازي على الصيد اي ضريته فالمراد
تعليم صناعة الحرب التي هي علم بكيفية اعماله مع مباشرتها لتحصل ملكته التي
هي كيفية نفسانية تصدر عنها افعاله الاختيارية من غير روية والاصل فيه
قوله تعالى خطابا للملائكة الذين امد بهم اهل بدر او للمومنين على ما في ذلك
من الخلاف بين ائمة التفسير فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان قال
الامام الماوردي في تفسيره فيه خمسة اقاويل احدها فاضربوا الاعناق وفوق
صلة زائدة في الكلام قاله عطية والضحاك والثاني واضربوا الرؤس فوق
الاعناق قاله عكرمة الثالث اضربوا على الاعناق الرابع اضربوا على الاعناق الخامس

اضربوا لجلدة الاعناق التي تلت وأشبهها بالصواب الرابع لان فيه ابقاء اللفظ
على حقيقته مع ان اعلى العنق محل مفصله وانه امضى للسيف وانفى له وامكن من
القتل وابانة الرأس المرهب للاعداء قوله تعالى واضربوا منهم كل بنان قيل هي
اطراف الاصابع وقيل المفاصل كلها وقيل الاعضاء كلها حكاها ابو السعود في تفسيره
تلك واقربها الاول لانه حقيقة اللفظ لكن الوجه ارادة خصوص اطراف اصابع اليدين
لانه ابلغ في العطب وابعد من تعريض السيف للتلف باصابة الارض فتضمنت الاية
الكريمة بيان المقاتل والمعاطب والاعتناء بالابقاء على آلة الدفاع والتحذير من اتلافها
وتعريض النفس بذلك للقتل وجميع عدد الحرب مندرجة في هذا المعنى ولا سيما
العدد البارودية التي هي اليوم اعظم ما يتقوى به ولا تحصل الا باعمال عظيم وكلفة
زائدة فيجب ان يبالغ في التحفظ عليها ولا تمكن الا من امين عارف بانواعها مميز
بين غليظها ورهيفها وقويها وضعيفها بصير باحوالها ويا تخيله كل نوع منها متوقي
من غوائلها حتى لا يعود ضرر جهله وتهوره على نفسه او احد من المسلمين فانه ليس
الخطب في ذلك بالهين وقد روى الشافعي والبيهقي عن انس بن مالك رضي الله عنه
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه سأله اذا حاصرتم المدينة كيف تصنعون قالوا نبعث
الرجل الى المدينة ونصنع له هنة من جلود قال ارايتان رمي بحجر قال اذا يقتل

اي حاجة لفظا شيا يكفي بدعنا كل شي منه

قال فلا

قال فلا تفعلوا فوالذي نفسي بيده ما يسرني ان تفتحوا مدينة فيها اربعة مقاتل بد
تضييع رجل مسلم فتنبه رضي الله عنه ان حفظ المسلم من الهلاك افضل من اراقة
دماء المشركين وفتح بلادهم ومن اهم ما يعتني به في شأنها التحفظ من اصابة
النار شيا من البارود حتى العمل به فان الخطر فيه اعظم واطم والمتوكل بذلك
مندرج في عموم من حرس في سبيل الله ورابط في سبيله اذا بذل النصح واخلص
النية في ذلك مرجو له الثواب الموعود فيما روى احمد والبخاري في تاريخه وابو
يعلى والطبراني عن معاذ بن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
حرس من وراء المسلمين في سبيل الله متطوعا لا ياخذه سلطان لم ير النار بعينه الا
تحلة القسم فان الله يقول وان منكم الا واردها وما روى الخطيب عن عائشة رضي
الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من رابط فواق ناقة وجبت له الجنة وقوله
فواق ناقة اي قدر ما تحتلب قاله ابن حبيب وقال غيره قدر ما بين الحلبتين وقوله
لا ياخذه سلطان اي لا يكرهه على ذلك وهو تفسير للتطوع قبله فاما ان عين
لذلك فامتثل راضيا به منشرح الصدر له فلا ينافي التطوع كما لا ينافيه اخذ الجامكية
من بيت المال للكفاية لانها اعدت لذلك شرعا وجاء فيما ذكر ابن الحاج في مدخله
عن ابن عمر رضي الله عنهما انه كان يقول الحرس افضل من الغزو لان الحرس فيه حفظ

دماء المسلمين والغزو فيه اراقة دماء المشركين فحفظ دماء المسلمين اولى انتهى

وجاءت اخبار في الحث على تعلم الرماية

روى البخاري عن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
على قوم من اسلم ينتضلون بالسوق فقال ارموا بني اسماعيل فان اباكم كان راميا
وانا مع بني فلان لاحد الفريقين فامسكوا بايديهم فقال ما لهم قالوا وكيف نرمي وانت
مع بني فلان قال ارموا وانا معكم كلكم قال الامام البغوي في شرح السنة ينتضلون
اي يرمون والنضال الرمي مع الاصحاب يقال ناضلته فنضلته والرمي قد يكون من
فرد كما يكون من جماعة انتهى وروى مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان
يلهو باسهمه وروى ايضا عن عبد الرحمن بن شماسة ان فقيما اللخمي قال لعقبة
ابن عامر تختلف بين هذين الغرضين وانت كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم اعانه فقيل لابن شماسة وما ذاك
قال انه قال من علم الرمي ثم تركه فليس منا اي ليس متبعا لنا ولا مهتديا بهدينا ترك
الرمي وروى ابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من تعلم الرمي ثم تركه فقد عصاني وروى ابو داود عنه عن النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم انه قال من ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانها نعمة تركها او قال كفرها ففي هذه
الاخبار حثه صلى الله عليه وسلم على تعلم الرمي وعلى معاهدته بعد تعلمه وعده ترك معاهدته
رغبة عنه من كفران نعمة الله تعالى وروى الخطابي في معالم السنن باسناده الى عقبة
ابن عامر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل شيء يلهو به الرجل باطل
الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق قال وفي هذا
بيان ان جميع انواع اللهو محظورة وانما استثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه
الخلال من جملة ما حرم منها لان كل واحدة منها اذا تاملتها وجدتها معينة على حق
او ذريعة اليه قال ويدخل في معناها ما كان من المثاقفة بالسلاح والشد على الاقدام
ونحوهما مما يرتاض الانسان فيه فيتوقح بذلك بدنه ويتقوى به على مجالدة العدو فاما
سائر ما يتلهى به البطالون من انواع اللهو كالنرد والشطرنج والمزاجلة بالحمام وسائر
ضروب اللعب مما لا يستعان به في حق ولا يستجم به لدرك واجب فمحظور كله انتهى
وروى البزار عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علموا بنيكم الرمي
فانه نكاية العدو اي اغاظة له وله شواهد ترقيه الى الحسن وروى القراب في فضل
الرمي عن حذيفة رضي الله عنه قال كتب عمر الى اهل الشام ايها الناس ارموا واركبوا
والرمي احب الي من الركوب فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يدخل

باسهم وحد لجنة من عمله في سبيله ومن نوى به في سبيل الله

وجاء في المنجنيق

ما ذكره الامام الشافعي رضي الله عنه في الام ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب على
اهل الطائف منجنيقا وعرادة والعرادة بالتشديد شيء اصغر من المنجنيق
وما روى ابن سعد عن مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم نصب منجنيقا على اهل
الطائف اربعين يوما ومثله لابن اسحاق في سيرته وزاد حتى اذا كان يوم
دخل نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ثم زحفوا بها
الى جدار الطائف ليخرقوه فارسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فخرجوا من
تحتها فرمتهم ثقيف بالنبل فقتلوا منهم رجالا وما روى ابن هشام في سيرته فقال
حدثني من اثق به ان النبي صلى الله عليه وسلم اول من رمى في الاسلام بالمنجنيق
رمى به اهل الطائف وقال الواقدي في سيرته ان سلمان الفارسي رضي الله عنه هو
الذي اشار بالمنجنيق قال وقيل قدم به زيد بن ثابت فالله اعلم انتهى وفي السيرة
الحلبية في الحديث عن غزوة خيبر والكلام على محاصرة حصن النطاة من حصون
خيبر قال وكان صلى الله عليه وسلم يناوب بين اصحابه في حراسة الليل فلما كانت
الليلة السادسة من السبع استعمل عمر فطاف باصحابه حول العسكر وفرقهم

فاتي

فاتي برجل من يهود خيبر في جوف الليل فامر به عمر ان تضرب عنقه فقال اذهب
بي الى نبيكم حتى اكلمه فامسك عنه وانتهى به الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي ما وراءك فقال تؤمنني يا ابا القاسم
فقال نعم قال خرجت من حصن النطاة من عند قوم يتسللون من الحصن في هذه
الليلة قال فاين يذهبون قال الى الشق يجعلون فيه ذراريهم ويتهيؤون
للقتال وفي هذا الحصن في بيت فيه تحت الارض منجنيق ودبابات ودروع
وسيوف فاذا دخلت الحصن غدا وانت تدخله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله قال اليهودي ان شاء الله وقفتك عليه فانه لا يعرفه غيري واخرى
قيل وما هي قال تستخرج المنجنيق وتنصبه على الشق ويدخل الرجال تحت
الدبابات فيحفروا الحصن فتفتحه من يومك وكذلك تفعل بحصون الكتيبة
ثم قال يا ابا القاسم احقن دمي قال انت آمن قال ولي زوجة فهبها لي قال
هي لك ثم دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال انظرني اياما انتهى وفيها ايضا
نقلا عن الامتاع انهم يعني الصحابة نصبوا المنجنيق على حصن البراء احد حصون
خيبر قال وهو يخالف قول بعضهم لم ينصب الا في غزوة الطائف الا ان يقال المراد
انه لم يرم به الا في غزوة الطائف وهنا نصب ولم يرم به انتهى وفيها ايضا ول

الصلاة

من صنع المنجنيق ابليس فان نمرود لعنه الله لما اراد ان يلقي ابراهيم عليه السلام
في النار بني في جنب جبل جدارا طوله ستون ذراعا وملأ بينهما الحطب وجعلوا فيه
النار ووصلت النار الى ذلك الجدار ثم بقي وكيف يلقون ابراهيم فتمثل لهم
ابليس لعنه الله في صورة نجار فصنع لهم المنجنيق ونصبوه على راس الجبل
ووضعوه فيه ورموه في تلك النار انتهى ذكره في تفسير المولى ابي السعود
وزاد وقيل صنعه لهم رجل من الاكراد انتهى

وجاءت اخبار في الحث على اقتناء الخيل والركوب والمسابقة عليها وبيان
فضلها منقولها فروى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان
شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة وروى ابن حبان في صحيحه
عن ابي كبشة صاحب النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخيل
معقود في نواصيها الخير واهلها معانون عليها والمنفق عليها كالباسط يده بالصدقة
وروى ابن ماجة وابن حبان عن تميم الداري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ارتبط فرسا في سبيل الله ثم عالج علفه بيده كان له بكل حبة حسنة وروى
الترمذي وابن ماجة عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال

انه قال ارموا واركبوا وان ترموا احب الي من ان تركبوا كل شيء يلهو به الرجل باطل الا
رميه بقوسه وتاديبه فرسه وملاعبته امراته فانهن من الحق ففي هذا الحديث
تفضيل الرمي على الركوب فينبغي ان يجمع بينهما ليحرز الفضيلتين وروى البخاري
ومسلم عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي ضمرت
من الحفياء امدها ثنية الوداع وبينهما ستة اميال وسابق بين الخيل التي لم
تضمر من الثنية الى مسجد بني زريق وبينهما ميل قال الامام البغوي في شرح
السنة التضمير في الخيل ان تعلف الحب وتعظيم حتى تسمن وتقوى ثم تغشى
بالجلال وتترك حتى تحمى فتعرق ولا تعلف الا قوتا حتى تضمر ويذهب رهلها وتشتد
لحمها فتخف والامد الغاية يريد انه جعل غاية المضامير ابعد من غاية ما لم يضمر من
الخيل لان المضامير اقوى مما لم يضمر وكل ذلك اعداد للقوة في اعزاز الدين امتثالا
لقوله عز وجل واعدوا لهم ما استطعتم من قوة انتهى وروى ابن ابي شيبة عن الزهري
قال كانوا يتراهنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واول من اعطى فيه عمر بن
الخطاب يعني في السباق وروى الترمذي وابو داود والنسائي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا سبق الا في نصل او خف او حافر السبق بفتح الباء
هو المال المشروط للسابق على سبقه وبسكونها مصدر سبقته سبقا والمراد من

النصل السهم من الخف الابل من الحافر الخيل اي الا في ذي خف او حافر قال الخطابي
في معالم السنن والرواية الصحيحة في هذا الحديث السبق بفتح الباء انتهى قال الامام
البغوي في شرح السنة وفيه اباحة اخذ المال على المناضلة لمن نضل وعلى المسابقة على
الخيل والابل لمن سبق واليه ذهب جماعة من اهل العلم اباحوا اخذ المال على المناضلة
والمسابقة لانها عدة لقتال العدو وفي بذل الجعل عليها ترغيب في الجهاد انتهى وقال في
[illegible] المسابقة في الخيل والابل والرمي جائزة بالسنة واجماع الامة ان شرط
المال من جانب واحد بان يقول احدهما لصاحبه ان سبقتني فلك كذا وان سبقتك
فلا شيء لي وعن مالك لا يجوز لانه قمار وان كان اشتراط العوض من الامام يجوز بالاجماع
لان هذا مما يحتاج اليه ولانه حث على الجهاد وحرام لو شرط المال من الجانبين بالاجماع
الا اذا ادخلا ثالثا بينهما وقالا للثالث ان سبقتنا فالمال لك وان سبقناك فلا شيء لك
وهو فيما بينهما ايهما سبق اخذ الجعل من صاحبه وعن اشهب انه سال مالكا عن
المحلل فقال لا احبه ولنا ما رواه ابو هريرة انه عليه الصلاة والسلام قال من ادخل فرسا
بين فرسين وهو لا يامن ان يسبق فليس قمارا وان امن ان يسبق فهو قمار رواه
ابو داود فلهذا يشترط ان يكون فرس المحلل او بعيره مكافيا لفرسيهما او بعيريهما
وان لم يكن مكافيا بان كان احدهما بطيا فهو قمار قال محمد وحال الثالث انما يكون حيلة

اذا

اذا لم يسبقه ويشترط في المسابقة في الحيوان تحديد المسافة وكذا في المناضلة بالرمي
والمسابقة بالاقدام تجوز اذا كان المال مشروطا من جانب واحد وقال مالك واحمد لا تجوز
بجعل لان السبق بالاقدام من غير الثلاثة ولنا انه عليه الصلاة والسلام سابق عايشة
رضي الله عنها والمراد بحديث ابي هريرة ان الحاجة في المسابقة في الجهاد الا في هذه الثلاثة
انتهى قال في خلاصة الفتاوى والمراد من الجواز الحل لا الاستحقاق فانه لا يستحق
بهذا شيا انتهى اي فلا يجبر الابي على الاداء في القضاء واعلم انه لا خصوصية لشيء من
الات الرمي والمرمي به في شيء من ذلك انما المدار على حصول نكاية العدو به لانه
المقصود منه وذكر القوس والسهم فيما روينا من الاخبار خرج مخرج العادة لانه المعتاد
في زمانه صلى الله عليه وسلم الا ترى الى ما روى البخاري عن عبد الله بن مغفل المزني قال
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الخذف وقال انه لا يقتل الصيد ولا ينكي العدو وانه
يفقا العين ويكسر السن قال ابن الاثير في نهاية الخذف يعني بذال المعجمة رميك
حصاة او نواة تاخذها بين سبابتيك وترمي بها او تاخذ مخذفة من خشب ثم ترمي
الحصاة بين ابهامك والسبابة انتهى فاشار صلى الله عليه وسلم الى العلة المقصودة من
الرمي وان حكمه دائر معها ثبوتا وانتفاء فكل ما ثبت للرمي بالقوس من فضل واباحة
جعل مناضلة فثابت لعدد البارود وزيادة لان الحكم لما كان معلولا بالنكاية وهي مما

يختلف بالقوة والضعف كان المفاد تفاوت رتب الفضيلة على حسب تفاوت النكاية

على انه صلى الله عليه وسلم قد اطلق الرمي في الخبر الذي جاء مبينا لما تضمنته اية الاعداد

من القوة وهو ما قدمناه في الفصل الاول من حديث مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر واعدوا لهم ما استطعتم من

قوة الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي وقد قام دليل ارادة

الاطلاق فكان هو المعتبر

وجاء في الدرق والحراب

ما روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت كان يوما عندي يلعب السودان بالحراب

بالدرق والحراب فاما سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما قال تشتهين ان تنظرين

فقلت نعم فاقامني وراءه خدي على خده ويقول دونكم بني ارفدة حتى اذا مللت قال

حسبك قلت نعم قال فاذهبي وبنو ارفدة لقب للحبشة وقيل هو اسم ابيهم الاقدم

يعرفون وفاؤه مكسورة وقد تفتح قاله ابن الاثير في نهايته قال ابن بطال وفي الحديث

جواز النظر الى اللهو المباح قال وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم مكن عائشة من النظر

لتضبط السنة وتنقل تلك الحركات المحكمة الى بعض من ياتي من ابناء المسلمين فتعرفهم اياها

وجاء في المصارعة

ما روى ابو نعيم في دلايل النبوة عن ابي امامة رضي الله عنه قال كان رجل يقال له ركانة

وكان من افتك الناس واشدهم وكان مشركا وكان يرعى غنما في واد يقال له اضم فخرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة ذات يوم فتوجه قبل ذلك الوادي فلقيه

ركانة فقال يا محمد انت الذي تشتم الهتنا اللات والعزى وتدعو الى الهك العزيز

الحكيم لولا رحم بيني وبينك ما كلمتك الكلام حتى اقتلك ولكن ادع الهك العزيز الحكيم

ينجيك مني اليوم وساعرض عليك امرا هل لك ان اصارعك وتدعو الهك العزيز الحكيم

فيعينك علي وانا ادعو اللات والعزى فان انت صرعتني فلك عشر من غنمي هذه

تختارها فقال عند ذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم نعم ان شئت فاتخذا ودعا نبي الله

صلى الله عليه وسلم الهه العزيز الحكيم ان يعينه على ركانة ودعا ركانة اللات والعزى اعني

اليوم على محمد فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فصرعه وجلس على صدره فقال ركانة

فلست الذي فعلت بي هذا انما فعله الهك العزيز الحكيم وخذلني اللات والعزى وما

وضع جنبي احد قبلك فقال له ركانة عد فان انت صرعتني فلك عشرة اخرى تختارها

فاخذه نبي الله صلى الله عليه وسلم ودعا كل واحد منهما الهه كما فعلا اول مرة فصرعه

النبي صلى الله عليه وسلم وجلس على كبده فقال له ركانة قم فانك لست انت الذي فعلت بي هذا

انما فعله الهك العزيز الحكيم وخذلني اللات والعزى وما وضع جنبي احد قبلك

فقال له ركانة عد فان انت صرعتني فلك عشرة اخرى فاختر منها فاخذه نبي الله صلى الله
عليه وسلم ودعا كل واحد منهما الهه كما فعلا اول مرة فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم
الثالثة فقال له ركانة لست انت الذي فعلت بي هذا انما فعله الهك العزيز الحكيم وخذلني
اللات والعزى فدونك ثلاثين شاة من غنمي فاخترها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ما اريد ذلك ولكن ادعوك الى الاسلام يا ركانة وانفس بك ان تصير الى النار انك
ان تسلم تسلم فقال له ركانة لا الا ان تريني اية فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الله عليك
شهيد لئن انا دعوت ربك فاريتك اية لتجيبني الى ما ادعوك اليه قال نعم وقريب
منهما شجرة سمر ذات فروع وقضبان فاشار اليها نبي الله صلى الله عليه وسلم وقال لها اقبلي باذن
الله فانشقت باثنين فاقبلت على نصف شقها وقضبانها وفروعها حتى كانت بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم وبين ركانة فقال له ركانة اريتني عظيما فمرها فلترجع فامرها
فرجعت بقضبانها وفروعها حتى اذا التامت بشقها قال له النبي صلى الله عليه وسلم اسلم
تسلم فقال له ركانة ما بي الا ان اكون قد رايت عظيما ولكني اكره ان تسامع نساء المدينة
وصبيانهم اني انما اجبتك لرعب دخل قلبي منك ولكن قد علمت نساء المدينة وصبيانهم
انه لم يوضع جنبي قط ولم يدخل قلبي رعب ساعة قط ليلا ولا نهارا ولكن دونك
فاختر غنمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ليس لي حاجة الى غنمك اذ ابيت

ان تسلم فانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم راجعا واقبل ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يلتمسانه
في بيت عائشة فاخبرتهما انه قد توجه قبل وادي اضم وقد عرفا انه وادي ركانة
لا يكاد يخطيه فخرجا في طلبه واشفقا ان يلقاه ركانة فيقتله فجعلا يتصاعدان
على كل شرف ويتشوفانه اذ نظرا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم مقبلا فقالا يا نبي الله
كيف تخرج الى هذا الوادي وحدك وقد علمت انه جهة ركانة وانه من افتك الناس
واشدهم تكذيبا لك فضحك اليهما ثم قال اليس يقول الله لي والله يعصمك من الناس
انه لم يكن يصل الي والله معي فانشا يحدثهما حديث ركانة والذي فعل به والذي اراه
فعجبا من ذلك فقالا يا رسول الله اصرعت ركانة فلا والذي بعثك بالحق ما وضع انسان
جنبه قط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني دعوت الله ربي فاعانني عليه وان
ربي اعانني ببضع عشرة وبقوة عشرة

فصل تصنيف الصفوف

قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص
جاء في سبب نزول هذه الاية قبلها ما رواه الامام البغوي في تفسيره عن محمد
ابن كعب قال اخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر فقالت الصحابة
لئن لقينا بعده قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بهذه

الاية يعني قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون والايتين بعدها
وقوله تعالى صفا قال المولى ابو السعود مصدر وقع موقع الفاعل او المفعول ونصبه
على الحالية من فاعل يقاتلون اي صافين انفسهم او مصفوفين انتهى قلت
والاول انسب بمقام الثناء على من هذه حاله وتشريفه بمحبته تعالى اذ لا شرف
اعظم منها وعظم الجزاء يدل على عظم الفعل المجازى عليه وقوله تعالى كانهم بنيان
مرصوص حال من المستكن في الحال الاولى اي مشبهين في تراصهم من غير فرجة
وخلل ببنيان رص بعضه الى بعض ورصف حتى صار شيا واحدا وقيل المرصوص
المعقود بالرصاص قيل يراد لا انه على فضل القتال راجلا على القتال راكبا لان
الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة قال ابن عطية وهذا ضعيف خفي على قايله
مقصد الاية وليس المراد نفس الصفاف وانما المراد الجد في كل اوطار القتال واحواله
وقصد الاية ان الذين يبلغ جدهم الى هذه الحال حربون لا يقصروا على حال انتهى قلت
يريد ان ذكر الصف والتراص ليس على ظاهره وانما هو كناية عن ثبات القلب واجتماع
الكلمة وشد القلوب بعضها ببعض وهو الاوجه عندي اذ لو اجري اللفظ على
ظاهره لاقتضى ذم التقدم الى العدو وحدانا وتفريقا والشرع بخلافه فان قلت
اذا لا تدل الاية على فضيلة الصف قلت لا نسلمه لانه لا يمتنع في الكناية ارادة كل من

المعنى

المعنى الاصلي والكنائي وهنا قد قامت قرينة على انهما مرادان فيه وهي مصاف العدو
وكتب السير طافحة بتصفيفه صلى الله عليه وسلم جنده ومن ذلك ما حكى ابو قديد
في الحديث عن غزوة بدر قال وعدل رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف فتقدم
سواد بن غزية امام الصف فدفع النبي صلى الله عليه وسلم في بطن سواد بقدح
وقال استو يا سواد فقال قد اوجعتني والذي بعثك بالحق نبيا اقدني فكشف
رسول الله صلى الله عليه وسلم بطنه ثم قال استقد فاعتنقه وقبله فقال له ما
حملك على ما صنعت فقال حضر من امر الله ما ترى فخشيت القتل فاردت ان
يكون اخر عهدي بك ان اعتنقك قلت واستقادة سواد من النبي صلى الله عليه
وسلم في هذا الموطن وقصده الى ممازحته باسمه صلى الله عليه وسلم انما كانت
لاظهار النشاط وطيب النفس والفرح بلقاء الله وقلة المبالاة بحد السيوف
ورشق السهام وطعن الرماح في مرضاة الله ورسوله وتم ذلك باعتناقه
صلى الله عليه وسلم اظهارا لكمال محبته وتعلق القلب به في مثل هذا الموطن الذي
يذهل فيه كل خليل عن خليله فهكذا ينبغي ان تكون حال كل مومن في مثل هذا الموطن
ان يظهر من نفسه البشاشة والنشاط والرغبة في الشهادة وتعلق القلب
بنصرة دين الله فان في ذلك تثبيت القلوب وطابة الخواطر واشغالها الى

الرغبة فيما اعد الله تعالى لمن جاهد في سبيله وفي ذلك نوع من انزعاج عن
الدنيا واخلاص النية لاعلاء كلمة الله وثبات القدم وصدق الحملة وعقبى النصر
وعظم الثواب قال تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وقال انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وفي اجابته صلى الله عليه وسلم الى ما طلبه منه تعويض
رايه فيما ابداه في هذا الموطن ومجاراة لهم عليه واظهار للتواضع المطلوب لاسيما
في هذا الموطن من امير جيش وقائده فانه من اسباب الرفعة فقد روى ابو نعيم
في حليته باسناد حسن عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تواضع لله رفعه الله

وجاء ستة في ذكر الصف اخبار

فروى الطبراني والحاكم عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال مقام الرجل في الصف في سبيل الله افضل من عبادة ستين سنة وروى
الحاكم عن سهل بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مقام احدكم في
الصف في سبيل الله ساعة خير له من عمله في اهله عمره وروى الطبراني عن عمران
ابن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مقام رجل في صف في سبيل
الله خير من الدنيا وما فيها وروى ابن عدي وابن عساكر عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيام ساعة في الصف للقتال خير من قيام ستين

سنة

وجاء في الغارة ما روى

الطبراني عن ام مبشر رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الا اخبركم
بخير الناس رجلا قالوا بلى قال رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ينتظر ان
يغير او يغار عليه يعني انه اغار على العدو واذا اخرجه من خبائه يجود عليه قالوا في
المغرب وروى ابن حبان عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يأتي على
الناس زمان يكون خير الناس فيه رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع
هيعة استوى على متنه ثم طلب الموت مظانه وما روى ابن حبان عن ابي هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم الامام الشافعي والبخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغار على بني المصطلق وهم غارون في نعمهم بالمريسيع
فقتل المقاتلة وسبى الذرية وما روى البخاري ومسلم عن الصعب بن جثامة قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اهل الديار يبيتون من المشركين فيصاب من
نسائهم وذراريهم قال هم منهم وفي رواية هم من آبائهم اي فلا باس باصابتهم تبعا
لآبائهم اذا لم يتعمد الى قتل الصغار فاما اذا عرفوا فلا يجوز قتلهم لما روى البخاري
ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء
والصبيان وهذا اذا لم يقع منهم قتال والا فلا باس بقتلهم حال القتال دفعا لشرهم

وكذا لو كان احدهم ملكا او ذا راي في الحرب زي معنى يعني المجبوث والخرف

وجا في الاجتماع والافتراق

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا يقال اخذ حذره
اذا تيقظ واحترز من مخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه
والنفير الخروج الي العدو فالمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من
انفسكم فاخرجوا اذا خرجتم لغزوه اما ثبات اي جماعات ذوي متفرقة جماعة بعد جماعة
واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة ولا تخرجوا انفسكم بالانفراد وتقليل الجمع والتفرق
في المنازل روى ابو داود عن ابي ثعلبة الخشني قال كان الناس اذا نزلوا منزلا
تفرقوا في الشعاب والاودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تفرقكم في هذه
الشعاب والاودية انما ذلكم من الشيطان فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا الا انضم بعضهم
الي بعض حتى يقال لو بسط عليهم ثوب لعمهم وفي الاية اشارة الي انه يجب على امير
الجيش اذا فقد كمينا او رصد عينا او وجه سرية ونحو ذلك ان يعين لذلك
جمعا تحصل بهم الكفاية والمنعة ولا يغرر بهم لان الحذر المامور به في الاية عم من
حذر المخاطب به على نفسه وكل مومن معه كما يفيده ما روى البخاري ومسلم
والترمذي والنساي عن ابي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

قال المومن

قال المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وما روى احمد ومسلم عن النعمان
ابن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المومنون كرجل واحد
ان اشتكى راسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله

وجا في الاقدام ما روى هناد

والطبراني عن يزيد بن سخبرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما
تقدم رجل خطوة في سبيل الله عز وجل الا اطلعت اليه الحور العين وان تاخر خطوة
استحيين منه واستترن منه فان استشهد كانت اول نضحة من دمه كفارة
لخطاياه وينزل عليه اثنتان من الحور العين فينفضان التراب عن وجهه ويقولان
مرحبا فقد آن لك ويقول هو مرحبا فقد آن لكما وجا في الاحجام
وهو الكف عن الشي والمراد هنا الكف عن القتال اذا تعذر الفتح ما روى
البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال لما حاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطايف فلم ينل منهم شيا قال انا قافلون ان شا الله فثقل عليهم وقالوا نذهب ولا
نفتحه فقال اغدوا على القتال فغدوا فاصابهم جراح فضحك النبي صلى الله عليه وسلم
وفي السيرة الحلبية انه صلى الله عليه وسلم استشار في ذلك نوفل بن معاوية الديلي
فقال يا رسول الله ثعلب في جحر ان اقمت اخذته وان تركته لم يضرك شي ثم تولى عنها

انه ينبغي لامير الجيش استخفاء مشورته في قتاله وانه اذا علم انه يتيسر فتح الا
بعد زمان ولم يخش من عدو عقبى سوء جاز الكف عنه والاشتغال بما هو اهم
وانه لا ينبغي له ان يحدث عدوا عن اخفاق من جنده حتى لا ينسب للتقصير
وسوء تدبير فيجر الى نفرة القلوب منه وافتراق الكلمة

وجاء في الكر والفر ما روى الترمذي

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فحاص
الناس حيصة فاتينا المدينة فاختفينا بها وقلنا هلكنا ثم اتينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل انتم العكارون حاص بمعنى
جال حاص في القتال اذا فر والعكارون بمعنى الكرارون كذا وقع في رواية
ابي داود ويقال عكر اذا عطف اي انتم المتحيزون الى فئتكم على نية العود
الى القتال عند حصول الامداد وقوله وانا فئتكم اي معاذكم وناصركم قاله
صلى الله عليه وسلم تمهيدا لعذرهم وافادة لشرعية الفرار من العدو اذا علم العجز
عنه وامكن التخلص وكان هذا منهم في غزوة مؤتة من ارض الشام وكانوا ثلاثة
الاف فلقوا من جموع الروم ما لا قبل لهم به فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وتخلصوا
منهم

وجاء في الركوب ما قدمنا

من

من الامر به وما رواه البخاري عن جرير رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا تريحني من ذي الخلصة فقلت بلى فانطلقت في خمسين ومائة فارس
من احمس وكانوا اصحاب خيل وكنت لا اثبت على الخيل فذكرت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم فضرب بيده على صدري حتى رايت اثر يده في صدري وقال اللهم ثبته
واجعله هاديا مهديا قال فما وقعت عن فرس بعد قال وكان ذو الخلصة بيتا
باليمن لخثعم وبجيلة فيه صنم تعبد يقال له الكعبة قال فاتاها فحرقها بالنار وكسرها

وجاء في الصبر والنزول تجلدا للاعداء والتثبيت والتحريض

ما روى مسلم عن ابي اسحاق قال جاء رجل الى البراء بن عازب فقال اكنتم وليتم
يوم حنين يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء
من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل
كانها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول
انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك قال البراء كنا والله
اذا احمر الباس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وكان هذا منه صلى الله عليه وسلم بعد ان اسرع ببغلته قبل العدو وعمه العباس

وابو سفيان بن الحارث يثقلها بلجامها يسرع السير وهو ينوه باسمه ويدعو المسلمين
الى الرجعة ويقول الي يا عباد الله الي انا رسول الله كما افاده ابن كثير في تفسيره
قال وهذا في غاية ما يكون من الشجاعة التامة انه في مثل هذا اليوم في حومة الوغى
وانكشف عنه جيشه وهو مع هذا على بغلة ليست سريعة الجري ولا تصلح لكر
ولا لفر وهو مع ذلك ايضا يركضها الى وجوههم وينوه باسمه ليعرفه من لم يعرفه
صلوات الله وسلامه عليه انتهى قلت ويستفاد منه انه لا يليق برئيس الجند
اذا قاربه العدو وانكشف عنه جيشه الا التجلد للاعداء والظهور لهم والحملة
بنفسه عليهم مع استعطاف جنده كما فعل صلى الله عليه وسلم وانه ادعى لرهبة العدو
اذا عرفوه بالشجاعة وتراجع جنده اذا علم ثباته وابلى للعذر فان من كمال
الرجولية ان يكون في مثل هذا الموطن كما قيل

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على اقدامنا يقطر الدم

وكما قيل

ولست بمبتاع الحياة بسبة ... ولا مرتق من خشية الموت سلما

والنزول انتهى غاية الشجاعة لانه ابعد من الفرار واياس من الحياة

وجاء في التحريض والتثبيت

قوله تعالى يا ايها النبي حرض المومنين على القتال ومعناه التهييج على الاقدام بكل ما امكن

من الامور المرغبة وغيرها التذكير بوعده تعالى بالنصر والغلب من نبأ على الصبر وقوله
تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا اي قووا قلوبهم قال
الامام البغوي قيل ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال اي ثبتوهم بقتالكم معهم
المشركين وقال مقاتل اي بشروهم بالنصر فكان الملك يمشي امام الصف في صورة
الرجل ويقول ابشروا فان الله ناصركم انتهى قال المولى على البخاري وقيل تثبيتهم
اياهم بان كانوا يلقون في قلوبهم ذلك من جهة الخاطر ثم ان الله يخلق لهم فهما لذلك انتهى

وجاء في رفع الصوت ما روى

مسلم عن عباس رضي الله عنه من قصة حنين قال فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي عباس ناد اصحاب السمرة قال فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي
اين اصحاب السمرة فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها
فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار وفي السيرة الحلبية ان صوت العباس
رضي الله عنه كان يسمع من ثمانية اميال كان يقف على سلع وينادي غلمانه من اخر
الليل وهم بالغابة فيسمعهم وبين سلع والغابة ثمانية اميال انتهى ففي هذا الحديث
انه ينبغي لرؤساء الاجناد ان يستصحبوا معهم من ذوي الاصوات الجهورية استعدادا
لمثل هذا الموطن فان له موقعا عظيما في استنجاد الرجال وارهاب الاعداء وانه

ينبغي للمستنجد ان يختص بمعونة رجال الحرب المعروفين باخلاص النية وصدق
النكاية وحسن البلا كما فعل صلى الله عليه وسلم اذ خص اهل السمرة وهي الشجرة التي
كانت تحتها بيعة الرضوان فانه قد عرف مكانهم من السابقية والنصح لله ورسوله
والتدرب على مجاهدة العدو ولم يعرج على احد من الطلقا ومسلمة الفتح اذ كان سبب
الهزيمة من قبلهم ولا خير في استنجاد جبان فانه قد قال قايل منهم

يقول لي الامير بغير علم ... تقدم حين جد بنا المراس

فما لي ان اطعتك من حياة ... وما لي غير هذا الراس راس

وجاء في خفض الصوت ما روى

ابو داود عن قيس بن عباد قال كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرهون
الصوت عند القتال اي من غير حاجة لما قدمناه قال في المناوي الكبير لا
يستحب رفع الصوت في الحرب من غير ان يكون ذلك مكروها من وجه الدين ولكنه
فشل فان كان فيه منفعة للمسلمين فلا باس به انتهى وجاء في رد المنهزم
ما روى الامام ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعث ناسا من الناس يعني يوم احد فكانوا من ورايهم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كونوا هاهنا فردوا من فر منا وكونوا حراسا لنا من قبل ظهورنا

وجاء في الحراسة ما روى

البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لعبد اخذ بعنان
فرسه في سبيل الله اشعث راسه مغبرة قدماه ان كان في الحراسة كان في الحراسة
وان كان في الساقة كان في الساقة ان استاذن لم يوذن له وان شفع لم يشفع وما
روى الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حرام على عينين
ان تنالهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس الاسلام واهله من
اهل الكفر وما روى [illegible] والحاكم والبيهقي عن عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال حرس ليلة في سبيل الله عز وجل افضل من الف ليلة يقام ليلها
ويصام نهارها وما روى ابن ماجه عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال حرس ليلة في سبيل الله على ساحل البحر افضل من صيام رجل وقيامه
في اهله الف سنة السنة ثلاثماية يوم اليوم كالف سنة

وجاء في ركوب البحر ما روى

البخاري ومسلم عن ام حرام بنت ملحان قالت نام النبي صلى الله عليه وسلم يوما قريبا مني
ثم استيقظ يتبسم فقلت ما اضحكك قال اناس من امتي عرضوا علي يركبون البحر
هذا البحر الاخضر كالملوك على الاسرة فقالت فادع الله ان يجعلني منهم فدعا لها ثم نام

ثانية فقال مثل مقالته مثل قوله اولا فاجابها مثل مقالته ادعي الله ان يجعلني منهم
فقال انت من الاولين فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيا اول ما ركب
المسلمون البحر مع معاوية فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام فقربت
اليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت وما رواه ابو داود عن ام حرام رضي الله
عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المائد في البحر الذي يصيبه القيء له اجر
شهيد والغرق له اجر شهيدين وما رواه ابن ماجه والطبراني عن ابي امامة
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول شهيد البحر مثل شهيدي
البر والمائد في البحر كالمتشحط في دمه في البر وما بين الموجتين كقاطع الدنيا في
طاعة الله عز وجل وان الله عز وجل وكل ملك الموت بقبض الارواح الا شهيد
البحر فانه يتولى قبض ارواحهم ويغفر لشهيد البر الذنوب كلها الا الدين ويغفر لشهيد
البحر الذنوب كلها والدين وما رواه ابو نعيم عن عمة النبي صلى الله عليه وسلم انه
صلى الله عليه وسلم قال شهيد البر يغفر له كل ذنب الا الدين والامانة وشهيد
البحر يغفر له كل ذنب والدين والامانة

الفصل الحادي عشر في الحصون والخنادق والاسلحة وعدة الرمي

جاء برواية البخاري عن اسامة رضي الله عنه قال اشرف النبي صلى الله عليه وسلم

على اطم

على اطم من اطام المدينة فقال هل ترون ما ارى اني ارى مواقع الفتن
خلال بيوتكم كمواقع القطر قال في الصحاح الاطم مثل الاجم يخفف ويثقل والجمع
اطام وهي حصون لاهل المدينة انتهى وبرواية ابن اسحاق قال حدثني ابو
ليلى بن عبد الرحمن الانصاري اخو بني حارثة ان عائشة ام المؤمنين رضي
الله عنها كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق وكان من احصن حصون المدينة
انتهى وفي سيرة ابن سيد الناس وغيرها انه صلى الله عليه وسلم امر بالنساء
والذراري ان يجعلوا في الاطام انتهى وحفره صلى الله عليه وسلم الخندق على
المدينة اشهر من ان يذكر وكان حفره باشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه
وفي سيرة ابن سيد الناس وغيرها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه
خبر الاحزاب ندب الناس واخبرهم خبر عدوهم وشاورهم في امرهم فاشار عليه
سلمان بالخندق فاعجب ذلك المسلمين وفي السيرة الحلبية ان سلمان رضي الله
عنه قال يا رسول الله انا كنا بارض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا فاعجبهم
ذلك فضرب على المدينة الخندق انتهى وباشر صلى الله عليه وسلم العمل فيه بنفسه
ففي صحيح البخاري عن البراء بن عازب قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول
الله صلى الله عليه وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة

بعضد روى النسائي عن البراء رضي الله عنه قال لما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحفر الخندق عرض لنا حجر لا يأخذه المعول فاشتكينا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى ثوبه وأخذ المعول وقال باسم الله فضرب
ضربة فكسر ثلث الصخرة فقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام والله إني لأنظر
إلى قصورها الحمر من مكاني هذا قال ثم ضرب أخرى فقال باسم الله وكبر ثلاثا وقال
الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأنظر قصر المدائن وإلى القصر الأبيض
ثم ضرب الثالثة وقال باسم الله فقطع الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن
والله إني لأنظر باب صنعاء قال أبو عبد الله ابن الحاج في مدخله ومن نحوه في
الثغور حفر الخنادق والاحتساب في حفرها مستنبئا في ذلك بفعل رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتعهد الحجر الذي منه أعيت الصحابة الحيلة في كسرها التي تليت
ومن فرط فيها استهوانا لأمر عدوه واغترارا بكثرة جنده فقد مكن عدوه من
تبييته وعرض نفسه للهزيمة والمعرة ذكر في المنتخب أنه لما تولى المهلب
ابن أبي صفرة قتال قطري أحد رؤوس الخوارج وأبطالهم كان يحذر من البيات
حذرا شديدا وبعث إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وكان قد نزل في عشرة آلاف
بمعتزل من عسكر المهلب يا ابن أخي خندق على نفسك وأصحابك فإني أعلم بأمر

الخوارج

الخوارج فلا تغتر فبعث إليه عبد الرحمن أنا أعلم بهم منك وهم أهون علي من ضرطة
جمل فبيته قطري فقتل من أصحابه خمسمائة وفر عبد الرحمن لا يلوي على شيء فقال فيه
الشاعر :: تركت ولدنا تدمي نحورهم :: وجئت منهزما يا ضرطة الجمل ::
وجاء في أخذ السلاح عند اشتداد الخوف المجوز للصلاة قوله تعالى فإذا كنت
فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا
فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم
إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا والأمر بأخذه في هذه الآية الكريمة للوجوب بدلالة
تعقيبه برخصة وضعه والمأمور به المصلون على أظهر قولي الشافعي لأن حالة
الاشتغال بالصلاة مظنة وضعه فيفيد أمر الحارسين وشمول الأمر به حالة غير
الصلاة بالأولى ورخص في وضعه للمطر لأنه مما يثقل العدو وفيه من خفة الحركة
مع ما في حمله في هذه الحالة من المشقة وللمرض لمكان العذر وفي ذلك إشارة إلى أن
الهزيمة حمله بكل ما تمكن منه ولو بمشقة كالذي حكي عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله
أنه غزا جزيرة في بحر الروم فأصابه مرض اشتد به فقال لأصحابه ازودوا لي القوس

نتنبغ عليها وتوقي وهي في نفسه والسلاح ما يعد للحرب منه آلة حديد والسيف وحده
يسمى سلاحا وجاءت فيه أخبار روى الخطيب عن علي رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل يباهي بالمتقلد سيفه في سبيل الله
ملائكته وهم يصلون عليه ما دام متقلده وروى أيضا عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال صلاة الرجل متقلدا سيفه تفضل عن صلاته غير متقلد سبعماية ضعف
وروى ابن النجار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من
تقلد سيفا في سبيل الله قلده الله يوم القيامة وشاحين من الجنة لا تقوم لهما
الدنيا وما فيها من يوم خلقها إلى يوم يفنيها وصلت عليه الملائكة حتى يضعه عنه
وإن الله ليباهي ملائكته بسيف الغازي ورمحه وسلاحه وإذا باهى الله ملائكته
بعبد من عباده لم يعذبه بعد ذلك وروى الحاكم عن الزبير رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال من يأخذ هذا السيف بحقه قيل وما حقه قال أن لا تقتل به
مسلما ولا تفر به عن كافر وروى أبو بكر في الغيلانيات وابن عساكر عن يزيد بن
شجرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال السيوف مفاتيح الجنة وروى أبو يعلى عن
الحسن مرسلا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أردية الغزاة السيوف وجاء في
عدة الرمي ما روى الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال

أنه قال إن الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلاثة صانعه يحتسب فيه والممد به والرامي
به وما روى أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الله ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة صانعه
يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله وهو بضم أوله وكسر ثالثه اسم فاعل
من أنبله إذا ناوله النبل وهي السهام العربية وهي لطاف ليست بطوال كسهام
النشاب قال الإمام الخطابي في معالم السنن وقد يكون ذلك على وجهين أحدهما أن
يقوم مع الرامي بجنبه أو خلفه ومعه عدد من النبل فيناوله واحدا بعد واحد
والوجه الآخر أن يرد عليه النبل المرمي به انتهى وقد روي من طريق آخر والممد به
وأي الأمرين فعل فهو ممد به انتهى وقوله يحتسب في صنعته الخير أي يطلب
في مقابلتها شيئا من وجه الله ويرجو ثوابه بأن يتبرع بعملها أو ينقص من
أجرة مثله كما تشير إليه كلمة في إذ الظرفية لا تقتضي استيعاب الظرف وإذا
استوجب الجنة المناول له فالمتنقص من أجر مثله بمقتضى كرمه تعالى أولى فإن
قلت فالعدد البارودية هل تكون كالسهام في ذلك قلت نعم بالأولى لأنها أعظم
موقعا وأشد نكاية وأكثر كلفة ومؤنة وكل أحد يعلم أن ترغيب وعد الإثابة
بالجنة ما قصد منه إلى ذات السهم بل إلى عايدته فالأقوى منه عايدة مفاد من

الفصل الثاني عشر في حيل الحرب

روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وروى الترمذي عن اسماء بنت يزيد رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الكذب الا في ثلاث رجل كذب امراته ليرضيها ورجل كذب في الحرب فان الحرب خدعة ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما وروى ابو داود عن كعب بن مالك رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد غزوة ورى بغيرها وكان يقول الحرب خدعة معنى التورية ان يريد الانسان الشيء ويظهر غيره والمراد انه كان يعرض بذلك من غير تصريح لما روى البخاري في الادب المفرد والبيهقي والطبراني عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب اي سعة وفسحة تمنع عن القصد اليه فهذا محمل تورية صلى الله عليه وسلم لا التصريح بخلاف ما قصد اليه وان قال بها احتج جمع من العلماء في الثلاث المذكورة فيما رويناه من حديث الترمذي وما بمعناها كدفع الظالم واحياء الحق وعليه بعض مشايخ مذهبنا اخذا بظاهر الخبر فانه غير لائق بمقامه صلى الله عليه وسلم ومن مشايخنا من حمل خبر الثلاث

المستثناة

المستثناة على معاريض فحصل رخصة بما اذ نعقد من ظاهر اللفظ معنى يحتمله بحسب اللغة كان يقول لعدوه مات ملككم ويعني ملكا كان لهم في الازمان السابقة وصح كراهة ما خلا عن ذلك ثم قلت والاوجه عندي اختلاف ذلك بحسب المقام والاشخاص فان العدو قد يدقق البحث فينبغي مجال التعريض وليس كل احد يحسنه وخبر المعاريض انما يفيد ان فيها سعة لمن تمكن منها فلا يفيد المنع في حق من لم يتمكن فهو عندي محمل خبر الثلاث المستثناة وخدعة من الخدع بالفتح اظهار امر واضمار خلافه تقال بفتح فسكون وبضم فسكون وبضم ففتح قال المطرزي في المغرب قال ثعلب والحديث باللغات الثلاث فالفتح على ان الحرب ينقضي امرها بخدعة واحدة والضم على انها الة الخداع واما الخدعة يعني بضم ففتح فلانها تخدع اصحابها لكثرة وقوع الخداع فيها والاول افصح لانها لغة النبي صلى الله عليه وسلم انتهى وايا ما كان ففي الحديث اشارة الى استحباب استعمال الراي والحيل في الحرب قال ابو الوليد الطرطوشي في سراج الملوك واعلم ان الحرب خدعة عند جميع العقلاء واحزم ما يجب ركوبه قبل قرع الكتائب وحمل الجيوش بعضها على بعض فليبتد بتصريف الحيلة في نيل الظفر قال فاول ذلك ان يبث جواسيسه في عسكر عدوه يستعلم اخباره مع الساعات ويستعلم رؤساءهم وقاداتهم وذوي الشجاعة منهم

ويدس اليهم ويعدهم ويعد جميلا ويوجه اليهم بخروب خدعة ويغري جماعتهم
في نيلوا ما عنده من الهبات الجمة والعطايا السنية وان راى وجاء
بالهدايا والتحف رسلهم اما للعذر بحاجتهم واما اغترار الوقت للتفاوض بينهم
في سنن كتبا مدلسة اليه ويبثها في عسكره ويغري بينهم بما في الجيوش
من ذلك فان جميع ما ذكرنا تنفق فيه الاموال والحيل تنفق فيه الارواح
والرؤوس ووجوه الخداع فيه لا تحصى والحاضر فيه ابصر من الغائب قال
وسند الى المهلب لما كتب اليه الحجاج يستعجله في حروب الازارقة رد الجواب فقال
ان من البلاء ان يكون الراي عند من يملكه لا عند من يبصره قال وقال المختار ليزيد
ابن انس حين ولاه الجزيرة وامره بقتال عبيد الله بن زياد امض الى عدوك براي
غير مستبد وبحزم غير متكل ولا تركن الى الدولة فربما انقلبت واستشر من يطيعك
في عملك ولا تسير بخليك واستخر الله تعالى قبل اقدامك فوقفت قال ووصت
ام الديال العبسية ابنها الفارك وهو من اشد العرب يا بني لا تنشب في حرب
اذا وثقت بشدتك حتى تعرف وجه المهرب منها فان النفس اقوى شيء اذا
وجدت سبيل الحيلة واضعف شيء اذا ايست منها واحمد الشدة ما كانت
الحيلة مدبرة لها واخلص من تجارب خلسة الذيب وطر منها طيران الغراب

فان

فان حذرك زيادة شجاعتك وتهورك عدو شدتك قال بوسريا وكان احد
الفتاك لابنه يا بني كن بخيلا بك وثق منك بشدتك وبحذرك وثق منك
بشجاعتك فان الحرب جرب المتهور وغنيمة الحذر قال ومن اعظم المكايد في الحرب
الكمنا ولا يحصى كثرة كم من عسكر شتت تبيته وفل غربه بالكمنا وذلك ان
الفارس لا يزال يحميه في الدفاع ويحمي الذمار حتى يلتفت فيرى ورده بيد
منشورا ويسمع ضرب الطبول فحينئذ همه خلاص نفسه قال ولما ... تلك
وراء ذلك وعليه مدار الحروب في اصطناع الشجعان واختيار الابطال فاصطنع
ذوي البسالة والاقدام والجراة ولا عليك ان لا يكثروا ويجب عليك ان يكثروا ولا
تنس بيت الشاعر والناس الف منهم كواحد وواحد كالالف ان امر عنا
قال بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة الف وساحكي لك من ذلك
ما يقضى منه العجب نهم في البين وانه لو كانت في اللبث ثم ذكر انه التقى
المستعين بن هود وهو احد ملوك الاندلس مع الطاغية ابن ردمير معسكر في
طليطلة ومدينة وشقة في ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالشبكة في كل واحد
منهما ازيد من عشرين الف مقاتل بين خيل ورجل قال فحدثني رجل ممن حضر
الوقعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية لمن يثق بعقله وممارسته

لحروبنا من رجاله ستة الاف من في عسكر المسلمين من الشجعان الذين نعرفهم كانوا يعرفوننا
ومن غاب منهم ومن حضر ثم سبب ثم رجع فقاتلهم فلان وفلان في نحو سبعة رجال
قال فنحن الان في عسكري من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم
فقد وهم توجد وهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية مسرورا وهو يقول
يا بياضك من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المصابرة بين الفريقين لم يول
احدهم دبره ولا تزحزح عن مكانه حتى قتل اكثر العسكرين ولم يبق واحد منهم
قال فلما كان وقت العصر نظروا الينا ساعة ثم حملوا علينا حملة ودخلوا مداخله
فرقوا بيننا وصرنا شطرين وحالوا بيننا وبين اصحابنا وصاروا بيننا فكان
ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تتم الحرب الا ساعة وكنت في خسارة معهم
فانشاز وتقدم العسكر على السلطان ان يحوز نفسه وانكسر عسكر المسلمين
وتفرق جمعهم وملك العدو مدينة وشقة قال فليعتبر ذو الحزم والبصيرة
من جمع يحتوي على اربعين الف مقاتل ولا يحضره من الشجعان الا خمسة عشر
رجلا وليعتبر بفعل هذا العلج بالظفر واستبشاره بالغنيمة لما زاد في ابطاله
رجل واحد قال وسمعت استاذنا القاضي ابا الوليد الباجي رحمه الله قال
بينما المنصور بن ابي عامر في بعض غزواته اذ وقف على نشز من الارض مرتفع

فرأى

فرأى جيوش المسلمين بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره قد ملؤوا
السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل يعرف بابن المصحفي فقال كيف
ترى هذا العسكر ايها الوزير قال ابن المصحفي ارى جمعا كثيرا وجيشا واسعا قال
له المنصور لا يجزنا ان يكون في هذا الجيش الف مقاتل قال لا قال فتعجب من
اهل الشجاعة والبسالة فسكت ابن المصحفي فقال المنصور وما سكوتك ا
اليس في هذا الجيش الف مقاتل قال لا قال فتعجب المنصور ثم عطف عليه فقال
ايهم خمسمائة رجل من الابطال قال لا فحنق المنصور ثم قال ايهم مائة رجل
قال لا قال ايهم خمسون قال لا فسبه المنصور واستخف به وامر باخراجه على
اقبح صفة قال فلما توسطوا بلاد المشركين اجتمعت الروم وتصافت الجماعات
فبرز علج من الروم بين الصفين شاك في سلاحه يكر ويفر وهو ينادي هل من
مبارز فبرز اليه رجل من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله العلج ففرح المشركون
وصاحوا واضطرب لها المسلمون ثم جعل العلج يمرح بين الصفين وينادي هل من
مبارز اثنين لواحد فبرز اليه رجل من المسلمين فقتله العلج وجعل يكر ويحمل و
ينادي هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز اليه رجل فقتله العلج فصاح المشركون
وذل المسلمون وكادت تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها الا ابن المصحفي فبعث اليه

المنصور فحضر فقال له المنصور ما ترى ما يفعل هذا العلج تكلبا منذ اليوم
قال بلغني جميع ما جرى قال فما حيلتك فيه قال وما الذي تريد قال ان تكفيني المسلمين
شره قال نعم الآن ثم نهض الى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من اهل الثغور على
فرس قد نشرت او ركبها نهر الا وهو يحمل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل
في نفسه وحليته غير متخشع قال له المصحفي الا ترى ما يصنع هذا العلج منذ
اليوم قال قد رأيته فماذا تريد فيه قال له اريد راسه الآن قال نعم فحمل القربة
الى رحله ولبس لامة حربه وبرز اليه فتجاولا ساعة فلم ير الناس الا المسلم
خارجا اليهم يركض ولا يدرون ما هنالك واذا الرجل يحمل راس العلج فالقى
الراس بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي عن هولاء الرجال اخبرتك انهم
ليس في عسكرك منهم الف ولا خمسمائة ولا مائة ولا خمسون ولا عشرون
ولا عشرة فرد ابن المصحفي الى منزلته واكرمه

الفصل الثالث عشر في الحزم

وهو ضبط الرجل امره واخذه بالثقة قاله في الصحاح وقال غيره هو جودة
الراي في الحذر وقيل الحزم ان تستشير اهل الراي ثم تطيعهم واحسن ما فسر
به ما جاء برواية ابي الشيخ في كتاب الثواب باسناد حسن عن علي رضي الله عنه

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحزم سوء الظن اي مع من يخاف شره يريد
مع العمل بمقتضى ذلك من كمال التوقي من شره وما يصل اليه قوله تعالى خذوا
حذركم وقد مر لنا من بيانه ما فيه كفاية فمن اهم ما ينبغي به رئيس الجند
ومدبره ان يجيل فكره ويعمل باله في مداخل المكيدة واسباب المضرة بنفسه
لما عدته ويتحرز من غايلتها اقصى ما يمكنه من ذلك ومن قيل من تحرز من
المكائد قبل حلولها لم يتضعضع منها عند نزولها وقال الشاعر

يمثل ذو اللب في نفسه ... نوائبه قبل ان تنزلا
فان نزلت بغتة لم ترعه ... اذا كان في نفسه مثلا
راى الامر يفضي الى آخر ... فصير آخره اولا
وذو الجهل يامن ايامه ... وينسى مصارع من قد خلا
فان دهمته خطوب الزمان ... ببعض نوائبه اعولا
ولو قدم الحزم في نفسه ... لعلمه الحزم ان يحملا

وقيل شتت بسديد رايك شمل مكايد اهل بغيك واحسن من قال

الراي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العليا كل مكان

نظم عا طعن الفتى اقرانه ... بالرأي قبل تطاعن الاقران

ورواية ابن حبان في صحيحه عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثه في غزوة ذات السلاسل فسأله اصحابه ان يوقدوا نارا
فمنعهم فكلموا ابا بكر فكلمه فقال لا يوقد واحد منهم نارا الا قذفته فيها قال فلقوا
العدو فهزموهم فارادوا ان يتبعوهم فمنعهم فلما انصرف ذلك الجيش ذكروا ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم وشكوه اليه فقال يا رسول الله اني كرهت ان آذن لهم
ان يوقدوا نارا فيرى عدوهم قلتهم وكرهت ان يتبعوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا
عليهم فحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم امره وروى عباس الربعي في جزء عن علي
ابن ابي ربيعة الاسدي قال جاء رجل الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه بابن له يد لا
من بعث فقال علي لرأي شيخ احب الي من مشهد شاب وروى ابن عبد الحكم عن
يزيد ابن ابي حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها
مفروغا منها هم ان يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب يستاذنه
في ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بيني وبين المسلمين ماء قال نعم يا امير
المومنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو اني لا احب ان تنزل المسلمين منزلا
يحول الماء بيني وبينهم في شتاء ولا صيف فتحول عمرو بن العاص من الاسكندرية

الى

الى الفسطاط وروى ابن حبان في صحيحه ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال للهرمزان اما اذا فتني بنفسك فانصح لي وذلك انه قال له تكلم لا باس فامنه
فقال الهرمزان نعم ان فارس اليوم رأس وجناحان قال فاين الرأس قال
نهاوند مع بندار فان معه اساورة كسرى واهل اصفهان قال فاين
الجناحان فذكر الهرمزان مكانا نسيه فقال الهرمزان اقطع الجناحان يوهن
الرأس فقال له عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله بل اعمد الى الرأس فيقطعه الله
فاذا قطعه الله عني انقطع عني الجناحان وكانت قصة الهرمزان ما روى
البيهقي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال حاصرنا تستر فنزل الهرمزان على
حكم عمر فقدمت به على عمر فقال له عمر تكلم قال كلام حي ام كلام ميت قال تكلم لا باس
فتكلم فلما احسست ان يقتله قلت ليس الى قتله سبيل قد قلت له تكلم لا باس
فقال عمر ارتشيت واصبت منه قلت والله ما ارتشيت ولا اصبت منه فقال
لتاتيني على ما شهدت به بغيرك او لابدان بعقوبتك فخرجت فلقيت الزبير
ابن العوام واسلم الهرمزان وفرض له وذكر صاحب المستظرف قصة امانه
على غير هذا الوجه فقال ولما اراد عمر قتل الهرمزان استسقى بماء فاتوه بقدح فيه
ماء فامسكه بيده واضطرب فقال له عمر رضي الله عنه لا باس عليك حتى تشربه

قال ونومك لا باس امان ولم اشربه فقال قاتلك الله اني غير قاتلك حتى تشربه
فالقى القدح من يده فامر عمر بقتله فقال الم تؤمني قال وكيف امنتك قال قلت لي
لا باس عليك حتى تشربه ونومك لا باس امان فقال عمر قاتلك الله اخذت مني
امانا ولم اشعر انتهى وجا في مشاورة قوم تحابوا وشاورهم في الامر قال
الامام الماوردي وفي امره صلى الله عليه وسلم بالمشاورة اربعة اقاويل احدها انه
امره بمشاورتهم في الحرب ليستقر لهم الراي الصحيح قال الحسن ما تشاور قوم قط
الا هدوا لارشد امورهم الثاني انه امره بمشاورتهم تالفا لهم وتطييبا لانفسهم
قاله قتادة والربيع الثالث انه امره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل قاله الضحاك
الرابع انه امره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المومنون وان كان عن
مشاورتهم غنيا قاله سفيان قال وحمل ابن عباس هذه المشاورة على المناظرة عند
القتال فامره بمناظرتهم ليتبين لهم الصواب فعدل بها عن ظاهرها وجعل مشاورته
لهم مشورة منه عليهم انتهى قال الامام ابو جعفر بن جرير في تفسيره واولى الاقوال
بالصواب في ذلك ان يقال ان الله عز وجل امر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه
فيما حزبه من امر عدوه ومكايد حربه تالفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام
البصيرة التي يومن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا منه امته ماتى الامور التي

تحزبهم

تحزبهم من بعده ومطلبها ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم
فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته صلى الله عليه وسلم يفعله فاما النبي صلى
الله عليه وسلم فان الله كان يعرفه مطالب وجوه ما حزبه من الامور بوحيه او الهامه
اياه صواب ذلك واما امته فانهم اذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك على
تصادق وتآخ للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى
فالله مسددهم وموفقهم انتهى وروى الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
ما رايت احدا اكثر مشورة لاصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن
اسحاق في سيرته عن الزهري قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة ابن
حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري والى الحارث بن عوف المري وهما قائدا غطفان
فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عنه وعن اصحابه فجرى بينه
وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح الا المراوضة في
ذلك فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل بعث الى سعد بن معاذ وسعد
ابن عبادة فذكر ذلك لهما واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله امرا تحبه فنصنعه
ام شيئا امرك الله به لا بد لنا من العمل به ام شيئا تصنعه لنا فقال بل شيء اصنعه لكم
والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل

جانب فاردت ان اكسر عنكم من شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا
نحن وهولاء القوم على الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه لا
يطمعون ان ياكلوا منا ثمرة الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له
واعزنا بك وبه نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف
حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذاك فتناول
سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال ليجهدوا علينا وفي هذه القضية
دليل على جواز مصالحة الكفار بمال يدفع اليهم اذا خيف الهلاك على المسلمين
وبدون ذلك لا يجوز لان فيه اعطاء الدنية ولحوق المذلة وفيها اختصاصه
صلى الله عليه وسلم بالمشاورة اهل التجربة وممارسة شدايد الحرب فان الانصار قد
عرفوا بذلك في الجاهلية والاسلام والسعدان مع ما عرف من دينهما ومناصحتهما
لله ورسوله قد تميزا من بينهم بجودة الراي وثبات القلب فكانا سيدي قومهما
كان سعد بن معاذ سيد الاوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج قال ابو عمر بن عبد
البر في الاستيعاب وفيهما جاء الخبر الماثور ان قريشا سمعوا صايحا يصيح ليلا على ابي قبيس

فان يسلم السعدان يصبح محمد ، بمكة لا يخشى خلاف المخالف

قال فظنت قريش انهما سعد بن زيد مناة بن تميم وسعد بن هذيم بن قضاعة قال

فلما

فلما كانت الليلة الثانية سمعوا صوتا على ابي قبيس

ايا سعد سعد الاوس كن انت ناصرا ، ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف
اجيبا الى داعي الهدى وتمنيا ، على الله في الفردوس منية عارف
فان ثواب الله للطالب الهدى ، جنان من الفردوس ذات زخارف

قال فقالوا هذا والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة انتهى وينبغي ان لا يستشار
في عظايم الامور الا من يوثق بدينه وعقله وحنكته التجارب فقد قال بعض الحكماء كفى
بالتجارب تاديبا وبتقلب الايام عظة وقالوا التجربة مراة العقل والغرة ثمرة الجهل
ولذلك حمدت اراء الشيوخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار وينابيع الاخبار
لا يطيش لهم سهم ، ولا يسقط لهم وهم ، وعليكم باراء الشيوخ فانهم ان عدموا
ذكاء الطبع فقد افادتهم الايام حنكة وتجربة وقال الشاعر

الم تر ان العقل زين لاهله ، ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال اخر

اذا طال عمر المرء من غير افة ، افادت له الايام في كرها عقلا

وفي استشارته صلى الله عليه وسلم اصحابه مع ما خص به من كمال العقل والتاييد
الرباني اسوة لغيره من رؤساء الاخذ في استشارة من دونهم قال الامام ابو
الوليد الطرطوشي في سراج الملوك اعلموا ان المستشير وان كان افضل رايا من

المشير فانه يزداد به رايا كما تزداد النار بالسليط ضوءا فلا تقذفن في روعك انك
اذا استشرت الرجال ظهر للناس منك الحاجة الى راي غيرك فيمنعك ذلك عن
المشاورة فانك لا تريد الراي للفخر به ولكن للانتفاع به وان اردت الذكر كان احسن
لذكرك واحسن عند ذوي الالباب لسياستك ان يقولوا لا ينفرد برايه دون ذوي
الراي من اعوانه ولا يمنعك عزمك عن انفاذ رايك وظهور صوابه لك عن الاستشارة
الا ترى ان ابراهيم عليه السلام امر بذبح ابنه عزمة لا مشورة فيها فحمله حسن
الادب وعلمه بموقعه في النفوس على الاستشارة فيه فقال لابنه يا بني اني ارى في
المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى وبعد فمن احسن ما رسم في هذا الباب قال
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الراي الفرد كالخيط السحيل والرايان كالخيطين
والثلاثة الاراء لا يكاد ينقطع قال وروي ان روميا وفارسيا تفاخرا فقال الفارسي
نحن لا نملك علينا من يشاور وقال الرومي ونحن لا نملك علينا من لا يشاور
وقال ايضا قال المامون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق المخلوع يعني اخاه الامين
فقال كان واسع الصدر ضيق الادب يبيح من نفسه ما تاباه همم الاحرار ولا يصغي
الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برايه فيرى سوء عاقبته ولا يردعه
ذلك عما يهم به قال فكيف كانت حروبه قال يجمع الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء

التدبير

التدبير فقال المامون لذلك ما حل به اما والله لو ذاق لذاذة النجاح ب
مشورات الرجال وملك نفسه عند شهوتها ما ظفر به قال وقال بعض ملوك العجم
لا يمنعك شدة باسك في باطنك ولا علو مكانك في نفسك من ان تجمع الى رايك
راي غيرك فان احمدته احببت وان اخفقت عذرته فان في ذلك خصالا منها
ان وافق رايك راي غيرك ازداد رايك شدة عندك وان خالفه عرضته على
نظرك فان رايته معتليا لما رايته قبلته وان رايته متضعا استغنيت عنه وذلك
انه يجدد لك النصيحة ممن شاورته وان اخطا ويمحض لك مودته وان قصر ولو لم
يكن من فضيلة المشاورة الا انك ان اصبت مستبدا سلبت لذة الاصابة
بالسنة الحسدة وقال قائل هذا اتفاق ولو فعل كذا لكان احسن واذا شاورت
فاصبت احمد الجماعة رايك لان لنفوسهم حمدا وان اخطات حمل الجماعة خطاك
لانهم عن انفسهم يكافحوا قال وفي حكم الهند من النقص من الاخوان الرخصة عند
المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة اخطا الراي وازداد
مرضا وحمل الوزر اشهى وذكر صاحب المستطرف فيه ان ملوك اليونان والفرس كانوا
لا يجمعون وزراءهم على امر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون الواحد منهم من غير
ان يعلم الاخر به لمعان شتى منها لئلا تقع بين المتشاورين منافسة فتذهب

الاصابة الراي لان من طباع المشتركين التنافس والطعن من بعضهم على بعض وربما
سبق احدهم بالراي الصواب فحسدوه وعارضوه وفي اجتماعهما ايضا على سر
المشاورة تفريق السر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر الملك على معاقبة
من اذاعه للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفي عنهم الحق الجاني
بمن لا ذنب له انتهي ومما يتاكد في حق رئيس الجند وقايده من الحزم ان يخفي العلامة
التي هو مشهور بها ورايته ولا يعلم خيمته ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير مكانه
حتي لا يلتمس عدوه غرته واذا سكنت الحرب فلا يمشي في النفر اليسير من قومه
خارج عسكره فان عيون عدوه قد اذكيت عليه وعلى هذا الوجه كسر المسلمون
جيوش افريقية عند فتحها كما حكي ذلك الامام الذهبي قال في تاريخه دول الاسلام
قال مصعب الزبيري حدثنا ابي والزبير ابن حبيب قالا قال عبد الله ابن الزبير هجم
علينا جرجير يعني ملك افريقية في مائة وعشرين الفا فرايت انا غرة من جرجير
بصرته به خلف جيوشه على برذون اشهب معه جاريتان تظلان عليه بريش الـ
الطواويس بينه وبين عسكره فلاة من الارض فاتيت اميرنا ابن ابي سرح فندب
لي فرسانا فاخترت منهم ثلاثين وقلت لهم اثبتوا هنا وحملت على جرجير وقلت احموا
ظهري فخرجت الي جرجير وهو يظن اني رسول اليه فلما دنوت منه عرف الشر فوثب

في

في برذونه وساق موليا فادركته فطعنته فسقط ثم ضربته بالسيف ونصبت
راسه على رمحي وكبرت وقد حمل المسلمون فحملوا وقد ركبوا اكتاف العدو وتمزقوا
انتهي وحكي الامام الطرطوشي في سراجه فقال ولما عبر طارق مولي موسي
ابن نصير الي بلاد الاندلس ليفتحها وموسي اذ ذاك بافريقية خرجوا في الجزيرة
الخضراء وتحصنوا في الجبل الذي يسمي اليوم جبل طارق وهم في الف وسبعمائة
رجل فطمعت الروم فيهم فاقتتلوا ثلاثة ايام وكان على الروم تدميرا استخلفه
لذريق ملك الروم وكان قد كتب الي لذريق يعلمه ان قوما لا ندري امن الارض
هم ام من السماء قد وصلوا الي بلادنا وقد لقيتهم فانهض الي بنفسك فاتاه
لذريق في تسعين الف عنان ولقيهم طارق وعلى خيله مغيث الرومي مولى
الوليد بن عبد الملك فاقتتلوا ثلاثة ايام اشد قتال فراى طارق ما الناس فيه
من الشدة فقام فحضهم على الصبر ورغبهم في الشهادة وبسط في امالهم ثم قال
اين المفر البحر من ورائكم والعدو امامكم فليس الا الصبر منكم والنصر من ربكم
وانا فاعل شيئا فافعلوا كفعلي والله لاقصدن طاغيتهم فاما ان اقتله واما
ان اقتل دونه فاستوثقت طارق من خيله وعرف خيمة لذريق وعلامته ثم
حمل مع اصحابه عليه حملة رجل واحد فقتل الله تعالي لذريق بعد قتل ذريع

في العدو وحمى الله المسلمين فلم يقتل منهم كبير شيء وانهزم الروم فاقام
المسلمون يقتلونهم ثلاثة ايام واحتز طارق راس لذريق وبعث به الى موسى
وبعث به موسى الى الوليد بن عبد الملك وسار مغيث الى قرطبة وسار طارق
الى طليطلة ولم تكن لهم همة غير المائدة التي تذكر اهل الكتاب انها مائدة سليمان
ابن داود عليهما السلام فدفع اليه ابن اخت لذريق المائدة والتاج فقومت
المائدة بمائتي الف لما فيها من الجواهر التي لم ير مثلها قال ابو الوليد وبمثل هذه الحيلة
قتل البارسلان ملك الترك ملك الروم وتبعه وقتل رجاله واباد جمعه
وكانت الروم قد جمعت جيوشا يقل ان يجتمع لاحد بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم
ستمائة الف مقاتل كتائب متواصلة وعساكر مترادفة وكراديس يتلو بعضها
بعضا كالجبال الشوامخ لا يدرك لهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعد وامت
الكراع والسلاح والمجانيق والالات المعدة لفتح الحصون في الحرب وكانوا قد قسموا
بلاد المسلمين الشام ومصر والعراق وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة
قد دارت لهم وان نجوم السعد قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين فتواترت
اخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك الاسلام فاحتشد للقائهم
البارسلان التركي وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان

واستعد

واستعد بما قدر عليه ثم خرج يومهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عادت طلائع
المسلمين الى المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يتراءى الجمعان فبات المسلمون
ليلة الجمعة والقوم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم وما لهم في المسلمين الا اكلة
جائع فبقي المسلمون اجبين لما دهاهم لما دهاهم فلما اصبحوا صباح يوم الجمعة
نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما راوا من كثرة العدو وقوتهم والاتهم فامر
البارسلان ان يعتد المسلمون فبلغوا اثني عشر الف تركي واذا هم منهم كالرقمة
في ذراع الحمار فجمع ذوي الراي من اهل الحرب والتدبير والشفقة على المسلمين
والنظر في العواقب فاستشارهم في استخلاص صواب الراي فتشاوروا برهة
ثم اجمع رايهم على اللقاء فتوادع القوم وتحاللوا وناصحوا الاسلام واهله ثم تاهبوا
اهبة اللقاء وقالوا للبارسلان نسمي الله ونحمل على القوم فقال البارسلان يا معشر
اهل الاسلام امهلوا فان هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون
لنا في شرق البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وفاءت الافياء وعلمنا ان المسلمين
قد صلوا ودعوا لنا وصلينا نحن حملنا امرنا فصبروا الى ان زالت الشمس ثم
صلوا ودعوا الله تعالى ان ينصر دينه وان يربط على قلوبهم بالصبر وان
يوهن عدوهم وان يلقي في قلوبهم الرعب وكان البارسلان قد استوثق من

خيمة ملك الروم وعلامته وفرسه وزيه ثم قال لرجاله لا يتخلف منكم احد حتى
يفعل كفعلي ويضرب بسيفه ويرمي بسهمه حتى اضرب بسيفي وارمي بسهمي
ثم حمل جميعهم حملة رجل واحد الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها
فخلصوا اليه وقتل من حوله واسر ملك الروم وجعلوا ينادون بلسان الروم
قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل فتبددوا وتفرقوا كل ممزق وعمل
السيف فيهم اياما واخذ المسلمون اموالهم وغنائمهم واستحضر ملك الروم
بين يدي الب ارسلان بحبل في عنقه فقال له الب ارسلان ما كنت تصنع بي لو
اخذتني قال فهل تشك اني كنت اقتلك فقال الب ارسلان انت اقل في عيني
من ان اقتلك اذهبوا به وبيعوه فيمن يزيد فكان يقاد بالحبل في عنقه
وينادوا عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا يطوفون به على الخيام ومنازل
المسلمين وينادوا عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع احد فيه شيئا حتى باعوه
من انسان بكلب فاخذ الذي كان تولى ذلك من امره الكلب والملك وحملهما
الى الب ارسلان وقال قد طفت جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل فيه احد شيئا
الا رجل واحد دفع لي فيه كلبا فقال لقد انصف لان الكلب خير منه فاقبض
الكلب وادفع اليه هذا الكلب ثم انه امر بعد ذلك باطلاقه فذهب الى

قسطنطينية

قسطنطينية فمزقته الروم وكلفته بالنار شي وحكى صاحب الحلل السندسية
في الاخبار التونسية فقال وذكر ابن اسحاق وغيره ان اهل اليمن لما طال
البلاء عليهم بتغلب الحبشة خرج سيف بن ذي يزن يطلب النصرة وسار
حتى اتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما والاها فشكى اليه
امر الحبشة فادخله على كسرى وقال ايها الملك غلبنا على بلادنا الاغربة فقال
كسرى واي الاغربة الحبشة او السند فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرني ويكون
ملك بلادي لك قال بعدت منا بلادك مع قلة خيرها فلم اكن لاورط جيشا
من فارس بارض العرب لا حاجة لي بذلك ثم اجازه بعشرة الاف درهم وكساه
كسوة حسنة فلما قبض ذلك سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس
فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا شانا ثم بعث اليه فقال له عمدت الى حباء الملك
تنثره للناس فقال وما اصنع بهذا ما جبال ارضي التي جئت منها الا ذهب
وفضة يرغب فيها فجمع كسرى مرازبته فقال ما ترون في هذا الرجل وما جاء له فقال
قائل ايها الملك ان في سجونك رجالا للقتل فلو انك بعثتهم معه فان يهلكوا كان
الذي اردت بهم وان يظفروا كان ملكا ازددته فبعث كسرى معه من كان في
سجونه واستعمل عليهم وهرز وكان ذا سن فيهم ومن افضلهم حسبا وبيتا

فخرجوا في السفن ووصلوا ساحل عدن فخرج الى سيف ووهرز فما استطاع
من قومه وقال له رجلي مع رجلك حتى نموت جميعا او نظفر فقال له وهرز انصفت
ثم تقاتلوا مع الحبشة وملكهم يومئذ مسروق بن ابرهة فلما تواقف الناس على
مصافهم قال له وهرز اروني ملكهم فقالوا اترى رجلا عاقدا على راسه تاجا بين
عينيه ياقوتة حمرا قال نعم قال ذاك ملكهم قال اني سارميه فان رايتم اصحابه
لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فاني قد اخطات الرجل وان رايتم قد استداروا
ولاذوا به فقد اصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم اوتر قوسه وكانت فيما يزعمون
لا يوترها غيره لشدتها وامر بحاجبيه فعصبا له ثم رماه فصك الياقوتة التي
بين عينيه فتغلغلت النشابة في راسه حتى خرجت من قفاه ونكس
عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به وحملت عليهم الفرس فانهزموا وهربوا
في كل وجه واقبل وهرز ليدخل صنعا انتهى فانظر ماذا ياتي على الملوك اذا عرفوا
في الحرب من الحيلة والقصد بالكيدة ومما ينخرط في هذا السلك ما ذكر صاحب
بشاير اهل الايمان بفتوحات ال عثمان ان السلطان مراد الاول بن السلطان
اورخان بن السلطان عثمان عليهم الرحمة والرضوان لما اظفره الله على كفرة
اللاس وشتت جمعهم واكثر القتل فيهم سار بين القتلى فقام اليه نصراني
من

من بينهم على اخر من حاله مجروح ملوث بالدما فاظهر انه يريد تقبيل ركاب
السلطان فرد عنه فالح واظهر ان عنده كلاما يقوله للسلطان فرق له وامر بتخليته
فلما لصق بالركاب ضرب السلطان بخنجر مسمومة كانت معه فاصاب خاصرته
فقتل اللعين من حينه وتالم لذلك السلطان وسار الى رحمة الله تعالى ومن الحزم
اللازم انتفاء الجند من اهل الفساد والشرور ورد كل من جربت خيانته وعرفت قلة
دينه وفساد طويته فقد قال الله تعالى في امثالهم من اهل النفاق ولو ارادوا
الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين
لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولاوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون
لهم والله عليم بالظالمين قال الامام الشافعي في اماليه غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فغزا معه بعض من يعرف نفاقه فانخزل يوم احد عنه بثلاثماية ثم شهد معه يوم
الخندق فتكلموا بما حكى الله عز وجل من قولهم ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا ثم غزا
النبي صلى الله عليه وسلم بني المصطلق فشهدها معه منهم عدد فتكلموا بما حكى الله
عز وجل من قولهم لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم غزا غزوة
تبوك فشهدها معه قوم منهم نفروا به ليلة العقبة ليقتلوه فوقاه الله عز وجل
شرهم وتخلف اخرون منهم فيمن بحضرته ثم انزل الله عز وجل في غزاة تبوك او منصرفه

منها من اخبارهم بقتال ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة الاية قال فاظهر الله عز وجل
لرسوله صلى الله عليه وسلم اسرارهم وخبر السماعين لهم وابتغاءهم ان يفتنوا من معه
بالكذب والارجاف والتخذيل لهم فاخبر انه كره انبعاثهم فثبطهم اذ كانوا على هذه النية
كان فيها ما دل على ان الله عز وجل امر ان يمنع من عرف بما عرفوا به من ان يغزو مع المسلمين
لانه ضرر عليهم ثم زاد في بيان ذلك بقوله فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله الى
قوله فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة
فاقعدوا مع الخالفين قال فمن شهر بمثل ما وصف الله عز وجل المنافقين لم يحل للامام
ان يدعه يغزو معه انتهى قلت وهو من الظاهر البين الذي لا يجري فيه اختلاف ويلتحق
بهم في ذلك الجبناء فانه لا خير في استصحابهم اذ ربما كانوا سبب الفشل والهزيمة
والتغير بتطلعهم في السعة فان ذلك معروف من حالهم وقد قال قايلهم

وكتيبة لبستها بكتيبة ، حتى اذا التبست نفضت لها يدي
فتركتهم تقص الرماح ظهورهم ، من بين منجدل واخر مسند
ما كان ينفعني مقال نسائهم ، وقتلت دون رجالهم لا تبعد

وحكى عبد القادر السلوي في طبقاته ان اسلم بن زرعة بعث جيشا عظيما ليغزو به
الخوارج فلما رآهم لم يغزوا وجعلوا يقبلون اليه قال لهم عرفتم خار الله لكم وضرب

وجوه

وجوه اصحابه وانصرف عنهم قال ومما نعرفه مرداس قال شاعرهم وكانوا اربعين وسلم
ابن زرعة في الفين

الفا مومن بزعمكم ، ويهزمهم رجال اربعونا
كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ، ولكن الخوارج مومنونا
هم الفية القليلة قد علمتم ، على الفية الكثيرة ينصرونا

وحكى صاحب المستظرف فقال وقع في بعض العساكر هجمة فوثب خراساني بدابته ليلجمها
فصير اللجام في الذنب من الدهش فقال يخاطب الفرس هب جبهتك عرضت ناصيتك
كيف طالت انتهى قال ابو الوليد الطرطوشي في سراجه واعلم ان الجبن مقتلة والعجز
ذل والجبن ضعف والجبان يعين على نفسه يفر عن امه وابيه وصاحبته وبنيه
والشجاع يحمي من لا يناسبه ويحمي مال الجار والرفيق بمهجته والجبان يخاف ما يكيس
به والجبان حتفه من فوقه انتهى وقال ايضا اعلموا ان من احزم مكايد الحرب اذكاء
العيون واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار السرور واماتة الحذر والاحتراس
من العدو وان لا تخرج هاربا الى قتال ولا تضيق امانا على مستامن انتهى

الفصل الرابع عشر في رحمة الضعفاء واجراء العدل وبذل الحقوق لمستحقها

روى الامام احمد باسناد رجاله ثقات والبزار والطبراني عن ابي موسى رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الامر في قريش ما اذا استرحموا رحموا واذا

حكموا عدلوا واذا استرحموا رحموا فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة
والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرف ولا عدل فبين صلى الله عليه وسلم بقاء دولتهم بقيام
هذه الخلال الثلاث فيهم التي هي رحمة من استرحمهم من ضعفاء رعاياهم وعدلهم في
الاحكام الشرعية وتفرقتهم ما اتاهم الله بالقسط اي العدل بايصاله لكل من له حق فيه
الي حقه ومن حكم الغاية ان يخالف ما بعدها ما قبلها فدل الخبر الكريم ان قسوة القلب
على الضعفاء والجور في الاحكام الشرعية ومنع الحقوق من مستحقيها والايثار بها الي
لمن لا يستحق من اسباب خراب الملك وزوال الدولة وقد تحقق ذلك من الخلفا
العباسية في اخر الامر فكانوا يبذلون الاموال العظيمة للمغنيين والشعرا واهل
اللعب والبطالة واهملوا الرعية وركنوا الي اللذات واتباع الشهوات كما يعلم ذلك
من سيرهم في الكتب المطولة ككتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني فسلط الله عليهم
مماليكهم فاستولوا على مملكتهم ولم يبق لهم منهم الا مجرد الاسم حتى كانوا يتصرفون
فيهم بالعزل والقتل ثم كان عاقبة ذلك ان سلط الله عليهم طاغية التتار فاباد ملكهم
ومزق شملهم ومحى اسمهم من الوجود وعم الضعف والوهن سائر بلاد الاسلام
واجرى في غالبها لاسيما البلاد الشرقية احكام الكفر ففشت المنكرات واستباح
غالب من ينتسب الي الاسلام المحرمات ولولا ان الله سبحانه جبر حال الاسلام

بظهور

بظهور الدولة العثمانية اعلى الله منارها ورفع بالتاييد والنصر اعلامها
فجدد القايمون باعبايها معالم الدين واحيوا ما اندرس من شريعة سيد المرسلين
لاتسع الخرق وعم الفساد سائر الخلق لكنه سبحانه حفظ وسلم وفتح للاسلام
بسيوفهم فتحا مبينا لما تقدم من عنايته تعالى بهذا الدين وتصديقا لنبيه الصادق
الامين فانه قد روى الحاكم في مستدركه فقال اخبرني عبد الله بن محمد الدوركي
قال حدثنا ابن اسحاق الامام قال حدثنا عبدة بن عبد الله الخزاعي قال حدثني
الوليد بن المغيرة قال حدثني عبد الله بن بشر الغنوي قال حدثني ابي قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لتفتحن القسطنطينية ولنعم الامير
اميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه
انتهى ففي هذا الحديث الكريم منقبة عظيمة ومأثرة جسيمة لال عثمان
اختصوا بها من بين سائر ملوك الاسلام فانه خرج منه صلى الله عليه وسلم مخرج
البشارة بما اكرم الله به امته من الفتوحات السنية وظهور دينه على سائر الاديان
والقسطنطينية وان غزاها الخلفاء المروانية والعباسية فلم يتم لهم من فتحها
ما يحسن ان يقال فيه فتح كان ملوكها يصالحونهم مرة ببذل مال على وجه الصلح
واخرى على بذل الجزية والخراج وابقاء تصرفهم فيها ثم ينقضون عليهم مرة بعد

اخرى وهو الفتح الحقيقي الذي يجب ان يبشر به من كوشف بما ياتي بعده من
امته صلى الله عليه وسلم من الفتح الذي وقع على يد ابي الفتوح السلطان محمد قدس
الله روحه ونور ضريحه اذ لم تقم بعده للكفار قائمة ولا بقيت لهم معه كلمة وانه
الانسب بالسياق اعني قوله ولنعم الامير اميرها فانه اضافه الى البلد يفيد عموم
تصرفه فيها وهذا لم يقع لاحد من اهل الاسلام قبل ابي الفتوح عليه شآبيب
الرحمة فان كان لفظ امير قصد به الى فرد معين بخصوصه فهو ابو الفتوح لا محالة
ففيه بشارته صلى الله عليه وسلم به وتقرير امارته على ابلغ وجه اذ اخرجه في معرض
البشارة والثناء وان قصد به الى الجنس عم ذلك كل من تولى امارتها بعده وقام
بحق التصرف فيها على منوال ذلك الامام الفاتح في قيامه بتنفيذ الاحكام الشرعية
واجراء العدل والرفق بالرعية والذب عن دين الله والاجتهاد في اعلاء كلمة الله
الى يومنا هذا وايا ما كان ففيه منقبة فاخرة لهذه الدولة العثمانية مد الله ظلال
رحمتها ورافتها على العباد فعلى القائم منهم ان يعرف حق رتبة شرفه فيجري على
طريقة الاكرمين من سلفه فان بذلك سعادة الدنيا والاخرة

وجاء في خصوص الرحمة اخبار فروى الطبراني باسناد حسن عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لم يرحم الناس لم يرحمه

الله

الله وروى ايضا بسند قوي عن جرير رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من لا يرحم من في الارض لا يرحمه من في السماء وروى البخاري ومسلم
عن جرير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرحم الله من لا يرحم الناس
وروى ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وروى
احمد والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت ابا القاسم الصادق المصدوق
صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع الرحمة الا من شقي

وجاء في العدل اخبار فروى الخطيب وابن عساكر والديلمي عن علي رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من ملك يصل رحمه وذوي قرابته ويعدل في
رعيته الا شد الله له ملكه واجزل له ثوابه واكرم مآبه وخفف حسابه وروى
مسلم عن عياض بن حمار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ثلاثة ذو سلطان
مقسط متصدق موفق ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم وعفيف
ذو عيال وروى احمد ومسلم والنسائي عن ابن عمرو رضي الله عنهما عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن
يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا وروى

الطبراني باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم من امام عادل افضل من عبادة ستين سنة وحد يقام في الارض بحقه
ازكى فيها من مطر اربعين صباحا وروى الطبراني ايضا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل الناس عند الله منزلة يوم القيامة امام عادل
رفيق وشر عباد الله عند الله منزلة يوم القيامة امام جائر خرق وروى الحكيم
والديلمي وابن النجار عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من
ولي من امور المسلمين شيئا فحسنت سريرته رزق الهيبة في قلوبهم واذا بسط
يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم واذا وفر عليهم اموالهم وفر الله عليه ماله واذا انصف
الضعيف من القوي قوى الله سلطانه واذا عدل فيهم مد في عمره وروى ابن ماجة
والبزار واللفظ له عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان
ظل الله في الارض ياوي اليه كل مظلوم من عباده فان عدل كان له الاجر وكان
يعني على الرعية الشكر وان جار او حاف او ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر واذا
جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت المواشي واذا ظهر الزنا ظهر الفقر
والمسكنة واذا اخفرت الذمة اديل الكفار او كلمة نحوها ورواه البيهقي ولفظه عن
ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف انتم اذا وقعت فيكم خمس

واعوذ بالله ان تكون فيكم او تدركوهن ما ظهرت الفاحشة في قوم قط يعمل بها فيهم
علانية الا ظهر فيهم الطاعون والاوجاع التي لم تكن في اسلافهم وما منع قوم الزكاة
الا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا وما بخس قوم المكيال والميزان الا
اخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ولا حكم امراؤهم بغير ما انزل الله
الا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في ايديهم وما عطلوا كتاب الله وسنة
نبيه الا جعل الله باسهم بينهم وروى الحاكم نحوه من حديث بريدة وقال صحيح على
شرط مسلم ففي هذا الخبر الكريم ان القيام بكتاب الله والمحافظة على حدود الشرع
والعدل في الحكم سبب نامي الفتن والنصرة على العدو وروى الطبراني باسناد
جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقدس
امة لا يقضى فيها بالحق وياخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع
وجاء في تضييع حقوق الضعفاء اخبار فروى الطبراني عن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى لا يقدس امة لا يعطون
الضعيف منهم حقه وروى الامام احمد بسند جيد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي من امر المسلمين شيئا فاحتجب عن اولي
الضعف والحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة وروى ابو داود والترمذي عن

ابي مريم الجهني رضي الله عنه انه قال لمعاوية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من ولاه الله شيئا من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم
احتجب الله دون حاجته وفقره يوم القيامة فجعل معاوية رجلا على حوائج المسلمين
وروى الطبراني عن ابي جحيفة رضي الله عنه ان معاوية بن ابي سفيان ضرب على
الناس بعثا فخرجوا فرجع ابو الدحداح فقال له معاوية الم تكن خرجت قال بلى ولكن
سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم احببت ان اضعه عندك مخافة
ان لا تلقاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس من ولي عليكم عملا
فحجب بابه عن ذي حاجة المسلمين حجبه الله ان يلج باب الجنة ومن كانت همته
الدنيا حرم الله عليه جواري فاني بعثت بخراب الدنيا ولم ابعث بعمارتها

الفصل الخامس عشر في اجتماع الكلمة والاتفاق

قال الله تعالى واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم قال
الامام ابو حفص النسفي في تفسيره قوله واطيعوا الله ورسوله اي في التالف على
نصرة الدين وقيل اطيعوا الله في الامر بالقتال ورسوله فيما يامركم به حالة القتال
من تقدم او تاخر او كف او اقدام او نحو هذا مما يوجبه تدبير قادة الجيوش ولا تنازعوا
اي لا تختلفوا والتنازع طلب كل واحد من صاحبه ان ينزع عما هو عليه فتفشلوا

اي فتجبنوا وقال الامام البغوي اي تجبنوا وتضعفوا وتذهب ريحكم قال ابو حفص هي
ريح النصر قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقال تعالى
فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال مجاهد وقتادة ويذهب نصركم وقال
السدي جراتكم وحدتكم وقال عطا جلدكم وقال النضر بن شميل قوتكم وقال الاخفش
دولتكم وقال بن كيسان ظفركم ورعب عدوكم منكم قال ويعبر عن الدولة بالريح
يقال هبت لفلان ريح اذا جاءت دولته وقال بعض المتاخرين

اذا هبت رياحك فاغتنمها ** فعقبى كل خافقة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها ** فلا تدري الركود متى يكون

انتهى وروى ابو داود عن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال شهدت القتال مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل اول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل
النصر وروى الترمذي عن قتادة عن النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال غزوت مع النبي
صلى الله عليه وسلم وكان اذا طلع الفجر امسك حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قاتل فاذا
انتصف النهار امسك حتى تزول الشمس فاذا زالت قاتل حتى العصر ثم امسك حتى
يصلي العصر ثم يقاتل قال قتادة كان يقال عند ذلك تهيج رياح النصر ويدعو
المومنون لجيوشهم في صلاتهم

الفصل السادس عشر

في جواز تعلم العلوم الأدبية من الكفرة

قال الإمام ابن سيد الناس في سيرته روينا عن ابن سعد قال أخبرنا الفضل بن دكين
قال حدثنا إسرائيل عن جابر يعني الجعفي عن عامر يعني الشعبي قال أسر رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر سبعين أسيرا وكان يفادي بهم على قدر أموالهم وكان
أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان
من غلمان المدينة يعلمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه وقوله فإذا حذقوا أي الحروف الهجائية من
حذق الصبي القرآن والعمل بتخفيف إذا مهر فيه وروى الحاكم في مستدركه فقال
حدثنا الإمام أبو الوليد وأبو بكر بن قريش قالا حدثنا الحسن بن سفيان قال حدثنا
قتيبة بن سعيد قال حدثنا جرير عن الأعمش عن ثابت بن عبيد عن زيد بن ثابت قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتحسن السريانية فقلت لا قال فتعلمها فإنه تأتينا
كتب فتعلمتها في سبعة عشر يوما قال الأعمش كانت تأتيه كتب لا يشتهي أن يطلع عليها
إلا من يثق به ونقل الحافظ ابن حجر في الإصابة روى عبد بن حميد عن زيد بن ثابت قال
قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إني أكتب إلى قوم فأخاف أن يزيدوا علي أو ينقصوا فتعلم السريانية
فتعلمتها في سبعة عشر يوما ونحوه للحافظ أبي عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب
وروى أبو داود في سننه فقال حدثنا أحمد بن يونس حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه

عن

عن خارجة يعني ابن زيد بن ثابت قال قال زيد بن ثابت أمرني رسول الله صلى الله عليه
وسلم فتعلمت له كتاب يهود وقال إني والله ما آمن يهود على كتابي فتعلمته فلم يمر بي
إلا نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له إذا كتب وأقرأ له إذا كتب إليه دل الحديث
الأول على جواز تعلم الكتابة من الكفار بلا شرط ضرورة لأنه من المعلوم أنه صلى الله
عليه وسلم كان معه جماعة من المهاجرين يحسنون الكتابة ويكتبون له الوحي فأفاد
ذلك إطلاق جواز تعلم العلوم الآلية التي لها منفعة في أمر الدين من الكفار فإنه إذا
جاز تعلم الكتابة منهم التي يتوسل بمعرفتها إلى كتابة كلام الله تعالى وتلاوته وحفظه
فبالأولى غيرها كالأمور الحربية التي نحن في بيان الاحتجاج لجواز تعلمها منهم مع قيام
الضرورة إلى ذلك ودلت الأخبار الباقية على جواز تعلم ما اختص به الكفرة من معارفهم
إذا توقف عليها أمر ديني لأنه إذا جاز تعلم اللغة السريانية كما أفاده ما روينا عن الحاكم
وابن عبيد واللغة العبرية كما أفاده ما روينا عن أبي داود والكتابة بهما كما هو ظاهر
من تلك الأخبار المترجمة عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فغير ذلك من معارفهم
الصناعية التي لها موقع في أمر الدين كالذي نحن فيه بالأولى ونحن نعد وقبله عد جمع
من مشايخنا وغيرهم الحساب والطب في جملة العلوم المفروضة على سبيل الكفاية
مع أنهما من علوم كفار الفلاسفة وقد ذكر أبو عمر بن عبد البر في كتاب الاستيعاب أن

الحارث بن كلدة الثقفي كان طبيبا في العرب حكيما مات في اول الاسلام ولم يصح اسلامه
ثم قال وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سعد بن ابي وقاص ان ياتيه يستوصفه
في مرض نزل به قال ابو عمر فدل ذلك على انه جائز ان يشاور اهل الكفر في الطب اذا كانوا
من اهله انتهى قلت وفيه ايضا دليل لما ذكرنا على ان مذهبنا جواز الاستعانة باهل
العهد في نفس الجهاد فاولى ما هو من وسائله قال الامام شمس الائمة السرخسي في
مبسوطه وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعان بيهود
بني قينقاع على بني قريظة قال وفي هذا دليل انه لا باس للمسلمين ان يستعينوا باهل
الذمة في القتال مع المشركين قال وقد كره ذلك بعض الناس فقالوا فعل المشرك لا يكون
جهادا فلا ينبغي ان يخلط بالجهاد ما ليس بجهاد واستدلوا على ذلك بما روي ان رجلين
من المشركين خرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال لا يغزو معنا الا من كان
على ديننا فاسلما قال ولكنا نقول في الاستعانة بهم زيادة كبت وغيظ لهم والاستعانة بهم
كالاستعانة بالكلاب عليهم وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لعلمه ان الرجلين
يسلمان اذا ابى ذلك عليهما الا ترى انه قال في الحديث فاسلما قال وقيل كان يخاف الغدر
منهما لضعف كان بالمسلمين يوم بدر كما قال الله تعالى ولقد نصركم الله ببدر وانتم
اذلة فاذا خاف الامام ذلك فلا ينبغي ان يستعين بهم وان يمكنهم من الاختلاط بالمسلمين

وهو تاويل ما ذكر من حديث الضحاك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم احد فاذا
كتيبة حسناء او قال خشناء فقال من هؤلاء قالوا يهود كذا وكذا فقال لا نستعين بالكفار
او تاويله كانوا متعززين في انفسهم لا يقاتلون تحت راية المسلمين وعندنا انما نستعين
بهم اذا كانوا يقاتلون تحت راية المسلمين فاذا انفردوا براية انفسهم فلا يستعان
بهم قال وهو تاويل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تستضيئوا بنار المشركين انتهى

المقصد الثاني في الامور السياسية

السياسة لغة مصدر ساس الرعية يسوسها سياسة اذا امرها ونهاها بشرط
اصابة الصواب فيهما وتطلق على حسن التدبير وجودة الراي وعرفا رسمت بانها القانون
الموضوع لرعاية الاداب والمصالح وانتظام الاحوال قال في معين الحكام والسياسة نوعان
سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا
من المظالم وتردع اهل الفساد ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية فالشريعة توجب
المصير اليها وهي باب واسع تضل فيه الافهام وتزل فيه الاقدام واهماله يضيع الحقوق
ويجري اهل الفساد ويعين اهل العناد والتوسع فيه يفتح ابواب المظالم الشنيعة
ويوجب سفك الدماء واخذ الاموال المحترمة ولهذا سلكت فيه طائفة مسلك التفريط
المذموم فقطعوا النظر عن هذا الباب الا فيما قل ظنا منهم ان تعاطي ذلك مناف

للقواعد الشرعية فسد ولمن طرق الحق سبلا واضحة وعدلوا الى طريق من العناد
فاضحة لانهم في انكار السياسة الشرعية رد النصوص وتغليط الخلفا وطايفة
سلكت في هذا الباب مسلك الافراط فتعدوا حدود الله وخرجوا عن قانون الشرع
الى انواع من الظلم والبدع السياسية وتوهموا ان السياسة الشرعية قاصرة عن
سياسة الخلق ومصلحة الامة وهو جهل وغلط فاحش فقد قال عز من قايل اليوم
اكملت لكم دينكم فدخل في هذا جميع مصالح العباد الدينية والدنيوية وقال صلى الله عليه
وسلم تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي وطايفة توسطت
وسلكت فيه مسلك الحق وجمعوا بين السياسة والشرع فقمعوا الباطل ودحضوه
ونصبوا الشرع ونصروه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم انتهى واذا عرف
هذا الاصل فاعلم ان جميع ما رتبه ائمة الكفر من سياساتهم العقلية فنحن في غنى عنه
بما انزل الله تعالى لنا في كتابه المبين وسنه لنا نبينا الصادق الامين الذي ما ينطق
عن الهوى واثنى عليه تعالى بقوله وانك لعلى خلق عظيم فكان له صلى الله عليه وسلم
من اعتدال الطبع وكمال العقل ما لا يطاق ولا يكيف والعقول التي ما ايدتها العصمة
الربانية ولا صاحبها التوفيق وان بلغت ما بلغت من الكمال لا تخلو عن شوب هوى
ودواع نفسانية فكيف بعقول اضلها الله واعمى بصايرها عن درك ظاهر البرهان

فاعتقدت

فاعتقدت الوهمية بشر زعمت ان اليهود اخس خلق الله قتلوه وصلبوه الى لعنه
حالهم ان يقفوا على وجه الصواب او يعثروا على دقايق الحكم العجاب وانما قصارى امرهم
ما قال الله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا فهم على امر دنياهم منكبون ولهوى
انفسهم وحظوظها في نار من الظلم يتهافتون والسياسة التي شرع الله لنا من
حدود ومزاجر واخلاق واداب سياسة نهتدي بها الى عمارة الدنيا والاخرة تكفل لنا
ببيانها العليم الخبير وشرحها لنا نبينا البشير النذير بيضاء نقية محفوظة بحيث ان
لا تبديل لكلماته وهو السميع محروسة الجنبات بحماة الدين ونقلة الشرع بحيث لا
يرضى منا من عقل ودين ان نعدل عن صفوها الى الكدر ونبيع صفى عن الكدر بالكدر
وانما قصارى امر ما رتبوه من ذلك ان يطرق اسماعنا شيء منه له اصل في شرعنا ويترجح
عندنا السلوك عليه فنبتدي العمل به على نية اخذه من شرعنا لا على قصد اتباعهم فيه
فانه لا يحل لنا ذلك لما روى الامام احمد والبيهقي في الشعب عن جابر رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه اتاه عمر رضي الله عنه فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا
افترى ان نكتب بعضها فقال امتهوكون انتم كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جيتكم
بها بيضاء نقية ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي قال ابن الاثير في نهايته
التهوك كالتهور وهو الوقوع في الامر بغير روية والمتهوك الذي يقع في كل امر

رنيل هو النحرير الذي يثبت صلى الله عليه وسلم انه لو كان موسى عليه الصلاة والسلام
في قيد الحياة لم يجز له ان يعمل بشيء مما انزل الله عليه من شريعته التي خوطب بها
الا بعد ان يعلم ثبوت ذلك في شريعة نبينا صلى الله عليه وسلم وتعبده الى اتباعه
والاقتداء به فيه واذا كان هذا في حق موسى وكتابه الذي انزل عليه فما بالك
بغيره وقد علم ان مبنى السياسة الشرعية ثلاثة امور اللين وترك الغلاظة والمشاورة
وان لا يستعمل على الاعمال والولايات راغب فيها والطالب لها وقد علم الله ما فيها من
انتظام الملة واستقامة الارض نص عليها الله سبحانه ورسوله وهي اساس الملك
وقل من يعمل بها الان وفقه الله فاثنتان نزلتا من السما وواحدة قالها النبي
صلى الله عليه وسلم اما الآيتين فقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر
قال الامام ابو الوليد الطرطوشي في سراج الملوك وفي الاية اشارتان احداهما الفظاظة
تنفر الاصحاب والجلساء وتفرق الجموع والحشم وانما الملك ملك بجلسائه واصحابه
وحشمه واتباعه والخلق بجملته تنفر الاوليا ان تطمع الاعداء فتهمز بكل سلطان
رفقها والاحتراز من سوء مغبتها وليكن كما قال الله تعالى واخفض جناحك لمن
اتبعك من المومنين قال وقد يبلغ باللين ما لا يبلغ بالغلظة الا ترى ان الرياح تهول

مغبتها بكسر الغين اي عاقبتها [illegible]

اصواتها

اصواتها فتتداخل لها الشجر وتنعطف الافنان والاغصان وفي الفرط تنكسر الاغصان
والماء بلينه في اصول الشجر يقلعها من اصلها واذا كانت الحية مع صعوبتها وسمها
وتغيبها في جحرها ترقى بالكلام حتى تستعطف فتخرج فالانسان احرى ان يستمال بلين
القول وحسن المنطق قال والاشارة الثانية انه قال وشاورهم في الامر فاذا قيل لنا
كيف يشاورهم وهو نبيهم وامامهم وواجب عليهم مشاورته وان لا يفعلوا امرا دونه
قلنا هذا ادب ادب الله تعالى به نبيه عليه السلام وجعله مادبة لسائر الملوك
والامراء والسلاطين لما علم الله تعالى ما في المشاورة من حسن الادب مع الجليس ومساعفة
في الامور فان نفوس الجلساء والعلماء والوزراء تصلح عليه وتميل اليه وتخضع عنوة
بين يديه شرعة لنبيه وذوي الامر من اهل ملته صلى الله عليه وسلم الا ترى ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان في غزوة فامرهم بالنزول فقال له سعد يا رسول الله ان كان
هذا بامرك فسمع وطاعة وان يكن غير ذلك فليس بمنزل فسمع منه النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ارتحلوا قال ومن اقبح ما يوصف به الرجال ملوكا كانوا وسوقة
الاستبداد بالراي وترك المشاورة والخصلة الثالثة ما روى البخاري ومسلم ان
رجلا قال يا رسول الله استعملني فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لا نستعمل على عملنا من
اراده قال ابو الوليد السرقيه ان الولايات امانات وتصريف في ارواح الخلائق

واموالهم والتسرع الي الامانة دليل على الخيانة وانما يخطبها من يريد اكلها واذا اوتمن
خاين على موضع الامانات كان كمن استرعي الذيب على الغنم ومن هذه الخصلة تفسد
قلوب الرعايا على ملوكها لانه اذا اهتضمت حقوقهم واكلت اموالهم فسد نياتهم
واطلقوا السنتهم بالدعا والشكي وذكروا ساير الملوك بالعدل والاحسان فكانوا كالبيت
السابر ؞ وراعي الشاة يحمي الذيب عنها ، فكيف اذا الذياب لها رعاء ؞
قال واذا اخان اهل الامانات وفسد اهل الولايات كان الامر كما قال الاول ؞
الملح يصلح ما يخشي تغيره ، فكيف بالملح اذ حلت به الغير ؞
قال واعلم ايها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فراسه انت وقلبه وزيرك ويداه
اعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك وما بقاء جسد بلا روح واذا اردت
ذروة العدل فاعلم ان الرعية ثلاثة انفس كبير وصغير ووسط فاجعل كبيرهم ابا
ووسطهم اخا وصغيرهم ابنا فبر اباك واكرم اخاك وارحم ابنك فانك واصل الي بر
الله ورحمته قال واتفقت حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا الملك بناء والجند
اساسه فاذا قوي الاساس دام البنا واذا ضعف الاساس انهار البناء فلا سلطان الا
بجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة الا بعدل
فصار العدل اساسا لساير الاساسات قال فالعدل النبوي ان يجمع السلطان الي

نفسه

نفسه حملة العلم الذين هم حفاظه ورعاته ونقلوه وهم الادلاء على الله والقايمون
بامر الله الحافظون لحدود الله والناصحون لعباده روي ابو هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولرسوله ولكتابه
ولايمة المسلمين وعامتهم قال فاتخذ ايها الملك العلماء شعارا والصالحين دثارا فتدور
المملكة بين نتايج العلما ودعوات الصلحا وانخلف عليك يد وربي هذين الخصلتين
ان يقوم عموده ويطول امده وكيف لا وقد قرنهم الله في سلطانه واصطفاهم
بخالص معرفته فقال شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط
لا اله الا هو العزيز الحكيم فبدا بنفسه وثني بملايكته وثلث باولي العلم وهم ورثة الانبيا
عليهم السلام والمعرفون عن الله تعالى ان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم
ففي تعظيمهم وتقريبهم امتثال لامر الله تعالى وتعظيم لما اثني الله عليه ويجب ترفيع ؞
مجالسهم وتمييز مواضعهم عن من سواهم قال الله تعالى يرفع الذين امنوا منكم والذين
اوتوا العلم درجات وفيه استمالة قلوب الرعية وخلوص نياتهم لسلطانهم واجتماعهم
على محبته وتوقيره فواجب على السلطان ان لا ينقطع امر دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاورتهم
لانه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف وافضل الواجبات على السلطان ان ينزل
نفسه مع الله منزلة ولاته معه اليس اذا خالف واليه امره ومارسه له مث

للاحكام عزله وعاقبه ولم يامن سطوته واذا امتثل اوامره وازدجر عن زواجره
حل منه محل الرضا فواعجبا لمن يغضب على واليه اذا خالفه ثم لا يخاف من سطوة ربه
عليه اذا خالفه ثانيا فهذا طريق اقامة العدل الشرعي والسياسة الاسلامية
الجامعة لوجوه المصلحة الاخذة لازمة التدبير السالمة من العيوب الممهدة
لاستقامة الدنيا والدين وذكر الامام الاسنوي في رسالته فقال ولما تولى هارون
الرشيد جلس للناس مجلسا عاما فدخل عليه بهلول المجنون فقال له يا امير المومنين
احذر جلساء السوء واعتمد جليسا صالحا يذكرك بمصالح خلقه اذا غفلت
والنظر فيهم اذا لهوت فان هذا انفع لك وللناس واكثر في الاجر مما تاتي به من صوم
وصلاة وقراءة وحج ان الرجل يلقي الكلمة عند ذي سلطان فيعمل بها فتملا الارض
فسادا كما قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة لا يلقي لها بالا ليهوي بها في
النار سبعين خريفا ولا تكن يا امير المومنين كمن قال الله تعالى في حقهم واذا قيل
له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد فقال له زدني
فقال يا امير المومنين ان الله قد اقادك الناس وجعل امرك فيهم مطاعا وكلمتك
فيهم نافذة وامرك فيهم ماضيا في ذلك الا لتحملهم على الاتيان بما امر الله والانتهاء
عما نهى الله عنه وتعطي من هذا المال الارملة والشيخ الكبير واليتيم وابن السبيل

يا امير

يا امير المومنين اخبرني فلان عن فلان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
اذا كان يوم القيامة وجمع الله الاولين والاخرين في صعيد واحد احضر الملوك
وغيرهم من ولاة الامور فيقول لهم لم امكنكم من بلادي لجمع الاموال وحشد الرجال
بل لتجمعوهم على طاعتي وتنفذوا فيهم امري ونهيي وتعزوا اوليائي وتذلوا اعدائي
وتنصروا المظلومين من الظالمين يا هارون تفكر كيف يكون جوابك عما تسئل
عنه من امور العباد في ذلك الموقف اذا حضرته وبداك مغلولتان الى عنقك
وجهنم بين يديك والزبانية محيطة بك تنظر ما يومر بك فبكى هارون الرشيد
بكاء شديدا فقال له بعض الحاضرين كدرت على امير المومنين في مجلسه فقال لهم
هارون فاتلكم الله ان المغرور من غررتموه والسعيد من تبعدتم عنه ثم خرج من
عنده وقال الامام ابو الوليد في سراجه في باب سيرة السلطان مع الجند اعلم
ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده وهم حماة البيضة والذابون
عن الحرمة والدافعون عن العورة وهم جنة الثغور وحراس الابواب والعدة
للحوادث وامداد المسلمين والحد الذي يلقى العدو والسهم الذي يرمى به والسلاح
المدفوع في نحره بهم يذب عن الحريم وتومن السبل وهم عز الارض والشوكة على
العدو ثانيا وعلى الجند الجد عند اللقاء والصبر عند البلاء فان كانت لهم الغلبة

فليمعنوا في الطلب وان كانت عليهم فلينكسوا الاعنة وليحموا الاسنة قال وينبغي
للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب البستان بستانه ان يقلع العشب الذي
لا ينفعه فمن العشب ما لا ينفع ومع ذلك يضر بالنبات النافع وهو بالقلع اجدر
ولا يصلح الجند الا بادرار ارزاقهم وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على قدر غنائهم
وبلائهم وجنود الملوك وعددها وقف على سعود الامة ونحوسها قال وقال
ابرويز لابنه شيرويه لا توسعن على جندك فيستغنوا عنك ولا تضيق عليهم
فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا واوسع عليهم في الرجا
ولا توسع عليهم في العطا قال ولما افضى الامر الى ابي جعفر المنصور انفذ جيشا
وقال لقواده سيروا واعتمدوا هذه السيرة ثم قال صدق الاعرابي اجع كلبك يتبعك
فقام ابو العباس الطوسي فقال يا امير المومنين اخشى ان يلوح له غيرك برغيف
فيتبعه ويدعك قال ويروى ان كسرى صنع طعاما في سماط فلما فرغوا
ورفعت الالات نظرت عينه الى رجل من اصحابه قد اخذ جاما له قيمة كثيرة
فسكت عنه وجعل الخدم يرفعون الالات فلم يجدوا الجام فسمعهم كسرى يتكلمون
فقال ما لكم فقالوا فقدنا جاما من الجامات فقال لا عليكم اخذه من لا يرده وراه
من لا يفضحه فلما كان بعد ايام دخل الرجل على كسرى وعليه حلة جميلة وحال

مستجدة

مستجدة فقال له كسرى هذا من ذاك قال نعم ولم يقل له شيئا قال وسئل عمرو
ابن معاذ وكان على الصوايف بما قدرت على جيوش الصوايف وكان يغزو في كل
سنة ويجهز الجيوش الى بلاد الروم فقال بسياسة النظر والتدبير وكذلك قال
ويروى ان بعض ملوك العرب كان ظالما لرعيته شديد الاذى لهم في اموالهم
فعوتب في ذلك فقال اجع كلبك يتبعك فوثبوا عليه فقتلوه فمر به بعض الحكما
فقال ربما اكل الكلب صاحبه اذا لم يشبعه قال في باب استجباء الخراج واعلم
ان المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الامن ونتاجه العدل وهو حصن
السلطان ومادة الملك والمال اقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك
وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يوخذ من حقه ويوضع في حقه
ويمنع من سرف ولا يوخذ من الرعية الا ما فضل عن معاشها ومصالحها ثم ينفق
ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها فيا ايها الملك احرص كل الحرص على عمارة
الارض فهي مزجاة الاموال بالرفق ومجانبة الخرق فان العلقة تنال من الدم بغير
اذى ولا اسماع صوت ما لا تناله البعوضة بلسعها وهول صوتها قال ولما عزل عثمان
عمرو بن العاص عن مصر استعمل عليها ابن ابي السرح فحمل من المال اكثر مما كان يحمله عمرو
فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت بعدك فقال عمرو ذلك لانكم اعجفتم اولادها

نوعي الآخر اذ كان يدفع بالرجال لا بالاموال و عنايتهم بالاموال بواسطة
الرجال فلا شك ان بيت رجال خير من بيت مال انتهي قال الامام رضي الدين
السرخسي في المحيط وما يجبي الي بيت المال انواع اربعة احدها الزكاة والعشر
ومصرفها ما ذكرنا يعني ما تضمنه قوله تعالي انما الصدقات للفقراء والمساكين
والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن
السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم كما وقع تفسيره والثاني خمس الغنايم والمعادن
والركاز ومصرفها اليتامي والمساكين وابناء السبيل علي ما قال الله تعالي واعلموا
انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين
وابن السبيل فسهم الله ورسوله واحد وذكر الله للتبرك ولاظهار فضيلة
هذا المال وسهم الرسول سقط بموته لقوله صلي الله عليه وسلم ان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا هذا العلم فمن اخذ بهذا العلم فقد اخذ بحظ وافر
وسهم ذوي القربي ساقط عندنا والثالث الاخرجة والجزية وما يوخذ من تجار
اهل الذمة والحرب وما صولح عليه اهل نجران من الحلل وبني تغلب من المضاعفة
يصرف الي عطايا المقاتلة وسد الثغور وبناء الحصون والي مراصد الطريق في دار
الاسلام حتي يقع الامن عن قطع اللصوص الطرق والي اصلاح القناطر والجسور

وبناء

وبناء الرباطات والمساجد والي سد البثق وتحصين ما يخاف عليه البثق وكري
الانهار العظام والي ارزاق الولاة واعوانهم وارزاق القضاة والمفتيين والمحتسبين
والمعلمين وكل من تقلد شيا من امور المسلمين والي ما فيه مصالح المسلمين لان
الخراج قايم مقام الغنيمة لانه لا يوظف الا علي الاراضي التي فتحت عنوة وقهرا
وصارت غنيمة للمسلمين ثم الامام يبطل حقها بالخراج ولجميع المسلمين حظ
في الغنيمة وانه تصرف الي نوايب المسلمين وحوايجهم وكذلك الخراج الذي هو
قايم مقامها والرابع اللقطات والتركات التي لا وارث لها ومصرفها نفقة اللقيط
والمرضي وادويتهم اذا كانوا فقراء وتكفين الموتي الذين لا مال لهم وعقل جناية
اللقيط زاد في التجنيس والي نفقة من هو عاجز عن الكسب وليس له من
يقضي بنفقته عليه انتهي لان جميع المسلمين يصرف الي نوايبهم قال فعلي الامام
ان يجعل بيوت المال اربعة لكل نوع بيتا لانه لكل مال حكما يختص به لا يشاركه
مال اخر فيه فان لم يكن في بعضها شيء فللامام ان يستقرض عليه مما فيه مال
وان استقرض من بيت مال الصدقات علي بيت مال الخراج فاذا اخذ الخراج يقضي
المستقرض من الخراج لان الصدقات مصروفة الي المحتاجين خاصة فاذا اصرفها
الي المقاتلة والي نوايب المسلمين والاحظ لهم فيها صار ذلك قرضا عليهم

لا ان يكون الفاضلة فقراء فلا تغيير فرضنا عليهم لان لهم حظا فيها وان استقرض من
بيت مال الخراج على بيت مال الصدقات وصرفه الى الفقراء لا يعتبر فرضا لان الخراج
لحكم الغني والغنيمة وللفقراء حظ فيها وانما لا يعطوا لاستغنائهم بالصدقات
فاذا احتاجوا اليه يصرف اليهم قال وعلى الامام ان يتقي الله تعالى في صرف الاموال
الى مصارفها وايصال الحقوق الى اربابها ولا يحبسها عنهم على ما يرى من تفضيل له
وتسوية منه غير ان يميل في ذلك الى هوى ولا يحل لهم الا ما يكفيهم ويكفي اعوانهم
بالمعروف وان فضل من المال شيء بعد ايصال الحقوق الى اربابها قسموه بين
المسلمين فان قصروا في ذلك وتعدوا كان الله حسيبا عليهم قال ولا شيء لاهل
الذمة في بيت المال لانه خص المسلمين فلا يستحق منه شيء الا وصلة الدين
الا ان يرى الامام ذميا يهلك جوعا فعليه ان يعطيه من بيت المال لانه من اهل
دار الاسلام فكان عليه احياؤه انتهى وقد منا عن الغنية ان عمر رضي الله عنه كان
يعطيهم على قدر الحاجة والفقه والفضل وان الاخذ به في زماننا احسن انتهى
قلت لكن محله ما اذا كان في بيت المال سعة كما هو ظاهر والا فليس الا الكفاية
ومما يوثر عن عمر رضي الله عنه في هذا الباب ما روى ابن سعد وابو عبيد في كتاب
الاموال وابن عبد الحكم عن يزيد بن ابي حبيب عمن ادرك ذلك قال كتب عمر بن الخطاب

الى عمرو

الى عمرو بن العاص انظر من كان قبلك ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة
فاتم لهم العطاء مائتي دينار واتمها لنفسك لامرتك واتمها لخارجة بن حذافة
لشجاعته ولعثمان بن ابي العاص لضيافته وما روى ابن سعد وابن جرير عن
محمد بن سيرين ان صهرا لعمر بن الخطاب قدم على عمر فعرض له ان يعطيه من بيت
المال فانتهره عمر وقال اردت ان القى الله ملكا خائنا فلما كان بعد ذلك اعطاه
من صلب ماله عشرة الاف درهم وما روى ابن سعد عن الحسن قال كتب عمر رضي الله عنه
الى حذيفة ان اعط الناس اعطيتهم وارزاقهم فكتب اليه انا قد فعلنا وبقي شيء
كثير فكتب اليه عمر انه فيئهم الذي افاء الله عليهم ليس هو لعمر ولا لآل عمر اقسمه بينهم
وما روى ابو عبيد وابن سعيد عن الاحنف بن قيس قال كنا جلوسا بباب عمر فخرجت
جارية فقلنا سرية امير المومنين فسمعت فقالت ما انا بسرية امير المومنين وما
احل له اني لمن مال الله فذكرت ذلك لعمر فقال صدقت وسأخبركم بما استحل من هذا
المال استحل منه حلتين حلة للشتاء وحلة للصيف وما يسعني لحجي وعمرتي
وقوتي وقوت اهل بيتي وسهمي مع المسلمين كسهم رجل ليس بارفعهم ولا اوضعهم

الخاتمة في امور شتى

من اسباب النصر والقوة قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي

عز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف
ونهوا عن المنكر قال الامام ابو الوليد الطرطوشي في سراجه منحهم الله تعالى بنصر
الملوك وشرط عليهم اربع شرائط كما ترى فمتى تضعضعت قواعدهم وانتقض عليهم
من اطراف ممالكهم او ظهر عليهم عدو وباغي فتنة او حاسد نعمة واضطربت
عليهم الامور ادراوا اسباب التغير فليلجأوا الى الله تعالى ويستجنوا من سوء اقداره
باصلاح ما بينهم وبينه سبحانه باقامة الميزان القسط الذي قامت به السموات
والارض واظهار شعائر الدين ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف القوي عن
الضعيف ومراعاة الفقراء والمساكين وملاحظة ذوي الخصاصة والمتضعفين
ويعلموا انهم قد اخلوا بشيء من الشروط الاربع التي شرطت في النص انتهى وروى
ابو داود عن جابر وابي طلحة رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يخذل امرأ مسلما في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه
الا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته وما من امرئ ينصر مسلما في موطن
ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه
نصرته وروى ابن حبان في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من ارضى الله بسخط الناس كفاه الله ومن اسخط الله برضا الناس

وكله

وكله الله الى الناس وروى ابو داود عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل فيهم بالمعاصي يقدرون
على ان يغيروا عليه ولا يغيرون الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا وروى
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قال يا ايها الناس انكم تقرؤون هذه الآية يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من
ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس اذا راوا
الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب من عنده وقال تعالى ومن
يتوكل على الله فهو حسبه اي من يثق به فيما نابه ويفوض امره اليه فانه كافيه
ما اهمه بحيث لا يختلج معه الى غيره قال الامام حافظ الدين في المستصفى المتوكل من وكل
اليه الامر اي فوض قال ابو تراب التوكل طرح البدن في العبودية وتعليق القلب
بالربوبية وعن بعضهم قيل ،، وكلت الى المحبوب امري كله ،، فان شاء احياني وان شاء
اتلفا ،، قال وقال ذو النون خلع الارباب وقطع الاسباب وهو من اعز المقامات
عند ارباب الطريقة انتهى قلت وليس المراد من قطع الاسباب ترك تعاطيها في اماكن
الحاجة اليها فانه خلاف الشريعة وانما المراد ترك الاعتماد عليها باستحضار القلب
انه لا موجود يعتمد عليه ويلجأ اليه الا الله وحده والرضا بفعله والاذعان

لحكمه بسكون النفس والجوارح عن كل فعل لا يبيحه الشرع وتنقبض اللسان عن النطق
بكلمة فيها اعتراض على الله تعالى فيما يفعل من خير وشر فانه اعلم بما يفعل فمن
اعترض عليه في امر من الامور فقد نقض توكله وفي ما ذكرناه بشيرما روى مسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن القوي خير واحب
الى الله من المومن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز
وان اصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء الله
فعل فان لو تفتح عمل الشيطان فالتوكل على الله تعالى بهذا المعنى من اعظم ما يتقوى
به على دفاع الاعداء وفي ان يضم الى توكله بالقلب نطقه به بقول حسبنا الله
ونعم الوكيل فانه قد نتج ذلك عقبى حميدة لمن قاله من الصحابة وهم الذين حضروا
غزوة احد استنفرهم النبي صلى الله عليه وسلم لاتباع المشركين بعد ان توجهوا الى مكة
فجلد فاستجابوا على ما بهم من الجراح قال تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد
ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله
وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم روى ابن جرير في
تفسيره عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من اصحابه

بعدما انصرف ابو سفيان واصحابه من احد خلفهم حتى كانوا بذي الحليفة فجعل
الاعراب والناس ياتون عليهم فيقولون لهم هذا ابو سفيان مايل عليكم بالناس
فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانزل الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس
قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل وفي سيرة
الحلبية ان المشركين لقوا معبد الخزاعي وكان يومئذ مشركا وكان راى خروج رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبرهم بخروجه يطلبهم وقد كانوا ارادوا الرجوع الى المدينة
فكسرهم خروجه فتمادوا الى مكة وظفر صلى الله عليه وسلم بابي عزة الشاعر الذي
من عليه وقد اسر ببدر من غير فداء لاجل بناته واخذ عليه عهدا ان لا يقاتله
ولا يكثر عليه جمعا ولا يظاهر عليه احدا فنقض العهد وخرج مع قريش لاحد وصار
يستنفر الناس ويحرضهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم باشعاره فلما جيء به
قال يا محمد اقلني وامنن علي ودعني لبناتي واعطيك عهدا ان لا اعود لمثل ما فعلت
فقال صلى الله عليه وسلم والله لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمدا مرتين اضرب عنقه
يا زيد فضرب عنقه قال وذكر ان راسه حملت الى المدينة مشهورة على رمح انتهى
وروى ابن جرير في تفسيره عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل قال هي كلمة ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين القي في النار قال حسبنا الله

ونعم الوكيل وقوله تعالى حكاية عن طالوت واصحابه في حربهم مع جالوت ولما برزوا
لجالوت وجنوده قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت فقوله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده
اي ظهروا لهم وصاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوى والمبارزة في الحرب
ان يظهر كل قرن لصاحبه بحيث يراه قرنه فهذا الموطن من مواطن الاجابة باشارة
هذه الاية الكريمة وقد روى ابو نعيم عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ثلاث ساعات للمرء المسلم ما دعا فيهن الا استجيب له ما لم يسال قطيعة رحم
او ماثما حين يؤذن المؤذن بالصلاة حتى يسكت وحين يلتقي الصفان حتى يحكم الله
بينهما وحين ينزل المطر حتى يسكن وروى ايضا من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثنتان لا تردان الدعاء عند النداء وعند الصف في سبيل
الله حتى يلحم بعضهم بعضا ورواه الدارقطني وابن حبان بلفظ ساعتان تفتح فيهما
ابواب السماء وقل ما ترد على داع دعوته عند النداء وعند الصف في سبيل الله وروى
الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تفتح ابواب السما
لقراءة القرءان وللقاء الزحف ولنزول القطر ولدعوة المظلوم وللاذان وقوله
قالوا اي جميعا وجمع منهم فالاجتماع على الدعاء من اسباب الاجابة باشارة هذه

الاية

الاية ويندب ان يكون ذلك سرا وبين الجهر والخفاء فانه الادب المطلوب في الدعاء
وقوله تعالى حكاية عنهم ربنا افتتحوا دعاءهم بندائه تعالى بوصف الربوبية
المنبئ عن التربية التي هي الايصال الى الكمال اعترافا بالعبودية وتبريا من الحول
والقوة وتجريدا للتوكل عليه سبحانه وتعرضا بالاجابة اي المطلوب على كل وجه
ومعنى افرغ علينا صبرا اي صبه علينا حتى يستعلي فوقنا كناية عن كمال الصبر
فهو حبس النفس للقتال وتحمل شدائد الحرب ومشاقه وتثبيت الاقدام كناية عن
تشجيع قلوبهم وتقويتها فدعاء هذه الاية الشريفة من اكد ما ينبغي ان يدعى به
عند لقاء العدو فان من الادب في كل مقام من مقامات الدعاء ان يستعمل الوارد فيه
فهو افضل من غيره لتنصيص الشارع عليه وتعليم الشرع خير من اختيار العبد
كما في شرح الاحيا لشيخ مشايخنا المرتضى ومن الوارد في هذا الباب ما روى البخاري
ومسلم عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي
لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام وقال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو
واسئلوا الله تعالى العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال
السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا
عليهم وفي رواية اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم

وما روى ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه عن انس رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا قال انت عضدي ونصيري بك احول وبك
اجول وبك اقاتل قال الامام النووي في الاذكار معنى عضدي معيني وقال الامام
الخطابي في معالم السنن معنى احول احتال قال وفيه وجه اخر هو ان يكون
معناه المنع والدفع من قولك حال بين الشيئين اذا منع احدهما من الاخر فمعناه
لا امنع ولا ادفع الا بك انتهى وما روى ابو داود والنسائي عن ابي موسى
الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في نحورهم
وما رواه ابن السني عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم حنين لا تتمنوا لقاء العدو فانكم لا تدرون ما تبتلون به منهم فاذا
لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا وربهم وقلوبنا وقلوبهم بيدك وانما تغلبهم انت
وما روى ايضا عن انس رضي الله عنه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة
فلقينا العدو فسمعته يقول يا مالك يوم الدين اياك اعبد واياك استعين
وما روى ابن حبان في صحيحه عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا غزا قال اللهم انت عضدي ونصيري وبك اقاتل ومما له تعلق بهذا الموطن
ما روى البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان

كان يقول عند الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم
لا اله الا الله رب السموات والارض رب العرش الكريم وما روى الترمذي عن انس
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا كربه امر قال يا حي يا قيوم برحمتك
استغيث وما روى ابو داود والترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم من الفزع كلمات اعوذ بكلمات الله التامة من غضبه
وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون وما روى ابن السني عن ابي
قتادة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اية الكرسي وخواتيم سورة البقرة
عند الكرب اغاثه الله عز وجل ومن السنة عند الزحف قراءة سورة الانفال
قال الامام البقاعي في مصاعد النظر وفي كتب الفتوح في وقعة القادسية من بلاد
العراق قالوا ولما صلى سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الظهر امر غلاما كان عمر رضي الله عنه
الزمه اياه وكان من القراء بقراءة سورة الجهاد يعني الانفال وكان المسلمون كلهم
اذ ذاك يتعلمونها فقرا على الكتيبة التي تليه وقرئت في كل كتيبة فهشت قلوب
الناس وعرفوا السكينة مع قراءتها قال مصعب بن سعد وكانت قراءتها سنة يقرؤها
رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الزحف ويستقرئها فعمل الناس بذلك قالوا ولما
فرغ من القراءة كبر سعد فكبر الذين يلونه وكبر بعض الناس بتكبير بعض فتحشحش

الناس ثم ذكر من نقل عن ابي ... قوله في مقتنا ذلك وفي المفتوح لابي القاسم عبد
الرحمن بن حبيش وكان تلميذه الحافظ ابي الربيع بن سالم الكلاعي في اواخر وقعة
اليرموك عن كتاب سيف بن عمر عن اشياخه وكان القاري يومئذ المقداد ابن
الاسود قالوا ومن السنة التي سن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر ان تقرا
سورة الجهاد عند اللقاء وهي سورة الانفال ولم يزل الناس بعد على ذلك انتهى
ومنها الاستفتاح بالضعفاء والفقراء روى البغوي في شرح السنة عن امية ابن
خالد بن اسيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين اي
فقرائهم وقوله يستفتح قال البغوي اي يستفتح القتال بهم كانه يتيمن بهم وقيل
يستفتح اي يستنصر والاستفتاح الاستنصار ويروى في تفسير قوله تعالى
ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح يقول ان تستنصروا فقد جاءكم النصر انتهى
وبالاخير جزم الامام السيوطي في الدر النثير مقتصرا عليه وعليه فالمراد طلب
الدعا منهم بالنصر روى احمد وابو داود والترمذي والنساءي والحاكم عن ابي
الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغوني ضعفاءكم فانما ترزقون
وتنصرون بضعفائكم ابغوني بهمزة وصل مكسورة اي اطلبوا لي طلبا حثيثا
الضعفاء من يستضعفهم الناس لفقرهم ورثاثتهم او ضعف ابدانهم وقوله

بضعفائكم

بضعفائكم قال الامام المناوي بسبب كونهم بين اظهركم او بسبب رحمتكم اياهم
وبركة دعائهم قال والضعيف اذا راى عجزه وعدم قوته تبرا من الحول والقوة له
بالاخلاص واستعان بالله فكانت له الغلبة وكم من فئة قليلة غلبت فئة
كثيرة باذن الله بخلاف القوي فانه يظن انما يغلب الرجال بقوته فتعجبه نفسه
غالبا وذلك سبب للخذلان كما اخبر تعالى عن بعض من شهد وقعة حنين انتهى
وروى البخاري عن مصعب بن سعد قال راى سعد ان له فضلا على من دونه
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تنصرون وترزقون الا بضعفائكم وروى
مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث
مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره ومن اسباب النصرة التواضع والعفو عن
المظالم روى مسلم والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه
الله عز وجل وروى احمد والترمذي وقال حسن صحيح واللفظ له عن ابي كبشة الانماري
انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاثة اقسم عليهن واحدثكم حديثا فاحفظوه
قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها الا زاده الله عزا
ولا فتح عبد باب مسألة الا فتح الله عليه باب فقر او كلمة نحوها ومنها ...

قال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون لعلكم تفلحون اي ترجى الفلاح الذي
هو الفوز بالبغية على التوبة فدل انه سبب عنها وان كان شروط ثلاثة الاقلاع من
المعصية بايفاء الحقوق و تحلل المظالم والعزم على ان لا يعود والندم على ما
كان منه ذلك وانا مرفي الاول كالتعذر الان وتقف الله فينبغي لمن له مظلمة
او حق قبل جندي خرج غازيا ان يسامحه ويعفو عنه حتى لا يعود منهزما لضعفه
على الاسلام والحمد لله حمدا كثيرا على جزيل نواله وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
وءاله قاله جامعه الفقير اليه سبحانه محمد بن محمود بن حسين الجزايري الحنفي
الشهير ببلده بابن العنابي نزيل مصر القاهرة حرسها الله تعالى فرغت من جمعه
بتاريخ رابع عشرين رجب من سنة اثنين واربعين واثني عشر مائة من هجرته
صلى الله عليه وسلم وكان الفراغ من نسخه من نسخة مولفه حفظه الله تعالى
وابقاه ءامنا من مكاره متطيا من الاقبال صهوة
جواده الغاره في اواخر شهر صفر الخير من شهور
سنة ١٢٦٥ خمس وستين ومائتين والف على
يد كاتبه الفقير اليه سبحانه حسن
بن عبد الكريم حمزة اصلح الله
احواله وبلغه من الخير
ءاماله بمحمد واله
صلى الله عليه
وسلم
امين
م

قال ابو يوسف في كتاب الخراج وحدثني ابان بن ابي عياش عن انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر سيئات
قال وحدثني بعض اشياخنا عن عبد الله بن السايب عن عبد الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام قال وحدثني
بعض اشياخنا عن مكحول عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ
اطع كل امير وصل خلف كل امام ولا تسب احدا من اصحابي قال وكان ابو حنيفة رحمه الله تعالى
يقول للرجل سهم وللفرس سهم وقال لا افضل بهيمة على رجل مسلم ويحتج بما حدثناه عن زكريا
بن الحارث عن المنذر بن ابي حفصة الهمداني ان غلاما لعمر بن الخطاب رض قسم في بعض
الشام للفرس سهم وللرجل سهم فرفع ذلك الى عمر رض فسلمه واجازه فكان ابو ح ياخذ
بهذا الحديث ويجعل للفارس سهمين وللراجل سهما وما جاء من الاثار والاحاديث ان للفرس
سهمين وللرجل سهما اكثر من ذلك واوثق والعامة عليه وليس هذا على وجه التفضيل
انما هذا على ان يكون عدة الرجل اكثر من عدة الاخر وليرغب الناس في ارتباط الخيل في السبيل
الا يرى ان سهم الفرس انما يرد على صاحب الفرس ولا يكون للفرس دونه والمتطوع وصاحب
الديوان في القسمة سواء فخذ يا امير المومنين باي القولين رايته فاعمل بما ترى انه افضل
للمسلمين فان ذلك موسع عليكم ان شاء الله تعالى انتهى